مؤسسة بناء للتنمية الانسانية

النَّفحُ الشَّذِيُّ

بِشَرحِ نَظمِ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ

المُسَمَّـــاة

فَتحُ العَلِيِّ فِي نَظمِ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ

نظمها وقدَّم لها الشَّيخ

صَالِح بن مُحَمَّد باكرمان

شرحها واعتنى بها تلميذه

عِصَام بن مُحَمَّد باسُنبُل

النَّفحُ الشَّذِيّ
بشرح نظم سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

اسم الكتاب: النَّفحُ الشَّذِيُّ بِشَرحِ نَظمِ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ

اسم المؤلف: عصام بن محمد بن سالم باسنبل

عدد الصفحات: 153 ص

مقاس الكتاب: 17*24 سم

رقم الإيداع:

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

يمنع طباعة أو تصوير هذا الكتاب أو إعادة نشره بكافة النشر العادي أو الإلكتروني
إلا بإذن خطي من المؤلف ، وكل من يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

736578572

النَّفْحُ الشَّذِيُّ

بشرح نظم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

المسمَّاة

فتح العلي في نظم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

نظمها وقدَّم لها الشَّيخ

صالح بن محمد باكرمان

شرحها واعتنى بها تلميذه

عصام بن محمد باسنبل

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم النَّاظم

صالح بن محمَّد باكرمان

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسوله بالهدى ودين الحقِّ ليُظهره على الدِّين كلِّه، وكفى بالله شهيدًا، والصَّلاةُ والسَّلامُ على صفوة الرُّسل، سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا مزيدًا، أمَّا بعد:

فقد اطَّلعتُ على كتاب: "النَّفح الشَّذي" الذي هو شرح على منظومتي "فتح العلي في سيرة النَّبيِّ ﷺ"، والشَّرح للدكتور عصام باسنبل حفظه الله تعالى، فألفيته شرحًا جميلًا وسطًا مدعَّمًا بالنُّقول، ومهذَّبًا بالفصول، وميسَّرًا على العقول، كافيًا للمبتدئين لمعرفة سيرة الرَّسول، فجزى الله الدكتور عصامًا خيرًا على هذا العمل، وبلَّغه غاية الأمل، وأسأل الله تعالى أن يكتب لي وله الأجر والثَّواب، وأن يُحسنَ لنا المرجع والمآب، إنَّه سبحانه جواد كريم توَّاب.

أبو مجـــاهد

صالح بن محمَّد باكرمان

حضرموت – المكلا

٢٨ / ١٢ / ١٤٤٦هـ

مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ ربِّ العَالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين، نبيِّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد: لقد أرسلَ الله تعالى نبيَّنا محمَّد ﷺ بين يدي السَّاعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فهدى به مِنَ الضَّلالة، وبصَّرَ به مِنَ العمى، وأرشدَ به مِنَ الغَي، وَفَتَحَ به أعْيُنًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا، فبلَّغ الرِّسالةَ وأدَّى الأمانةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهاده، وَعَبَدَ ربَّه حتَّى أتاهُ اليقين مِن ربِّه، صلَّى عليه وعلى آله وسلَّم تسليمًا.

ولذلك فإنَّ "خيرَ مَا يتدارسُهُ المسلمون، ولا سيَّما الناشئون والمتعلِّمون، ويُعنى به الباحثون والكاتبون دراسة السِّيرة المُحمَّديَّة؛ إذ هي خيرُ مُعَلِّمٍ ومُثَقِّفٍ، ومُهذِّبٍ، ومُؤدِّبٍ، وَآصَلُ مَدْرَسَةٍ تخرَّج فيها الرَّعيلُ الأوَّلُ مِنَ المسلمين والمسلمات، الذين قَلَّمَا تجودُ الدُّنيا بأمثالِهم، ففيها مَا يَنشُدُهُ المسلم، وطالبُ الكمال مِن دِينٍ، ودُنيا، وإيمانٍ واعتقادٍ، وعلمٍ، وَعَمَلٍ، وآدابٍ وأخلاقٍ، وسياسةٍ وكِياسةٍ، وإمامةٍ وقيادةٍ، وعدلٍ، ورحمةٍ، وبطولةٍ وكِفاحٍ، وجهادٍ واستشهادٍ في سبيل العقيدة والشَّريعة، والمُثُلِ الإنسانيَّةِ الرَّفيعةِ، والقِيَمِ الخُلُقِيَّةِ الفاضلة"[1].

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة، دار القلم، ط٤، ١٤١٨هـ، (١/ ٧-٨).

وبين أيدينا منظومةٌ نافعةٌ، وأرجوزةٌ طيِّبةٌ ماتعةٌ في السِّيرة النَّبويَّة لشيخنا الفاضل أبي مجاهد صالح بن محمَّد باكرمان – حفظه الله –، سمَّاها "فتح العلي في نظم سيرة النَّبيِّ ﷺ"، سَلَك فيها مسلك الاختصار في سبعةٍ وسبعين بيتًا فقط، بنظمٍ يتميَّزُ بسهولةِ الألفاظِ وعذوبتها، وعباراتٍ جميلةٍ، وكلماتٍ واضحةٍ، استوعبت كثيرًا مِن أحداثِ السِّيرة.

وقد عُرِفَت بمنظومة "فتح العلي"؛ لقول ناظمها – حفظه الله – في مقدِّمَتها:

وَبَعْـــدُ هَـــذَا نَظْـــمُ سِـــيْرَةِ النَّبِـــيْ سَـــمَّيْتُهُ مُغْتَبِطًـــا "فَـــتْحَ العَلِـــيْ"

وناظمُها عَلَمٌ مِن أعلامِ أهلِ السُّنَّةِ بحضرموت، وعضو مِن أعضاء هيئة علماء اليمن، وهو الشَّيخ صالح بن محمَّد بن عبد الرَّحمن باكرمان، المولود في أَحَدِ الرَّبيعَيْن مِن عام ١٣٩٠هـ الموافق للعام ١٩٧٠م، في خِرْبة باكرمان، وادي عمد، حضرموت، اليمن.

وقد تتلمذ على عددٍ مِنَ العلماء الفضلاء، ودرس على أيديهم في مختلف العلوم كالعقيدة والحديث والفقه واللُّغة وغيرها، ومِن أولئك العلماء: الشَّيخ العلَّامة أحمد بن حسن المعلم، والشَّيخ المحقِّق إدريس محمد علي الإثيوبي، والشَّيخ الفرضي حسن باعمر العمودي، والشَّيخ المحدِّث د. سعد بن عبدالله

الحميد، والشَّيخ المحدِّث مقبل بن هادي الوادعي، والشَّيخ العلَّامة الفقيه علي بن سالم بكيَّر وغيرهم.

وقد قمتُ بشرح هذه المنظومة شَرحًا مختصرًا؛ لينفع الله تعالى بها الطُّلاب، وقد كان عملي فيها يتلخَّص فيما يأتي:

١- ضبطتُ المنظُومة، وشَكَّلتُ ألفاظها؛ ليسهل تناولها على القارئ.

٢- عَنْوَنْتُ فقرات المنظومة بما يُناسب أحداثها.

٣- شرحتُ الأبيات شرحًا موجزًا.

فنسأل الله تعالى الإخلاص في القول والعمل، وأن يوفقنا لكلِّ خير، وأن يغفر لنا ولشيخنا ولوالدينا وذرِّياتنا وجميع المسلمين.

كتبه راجي عفو ربه

أبو محمَّد

عصام بن محمَّد بن سالم باسنبل

عاشوراء ١٤٤٧هـ

فتح العلي في نظم سيرة النَّبيِّ ﷺ

الحَمْـــــدُ للهِ العَظِـــــيمِ الأَوَّلِ ... مَـنَّ عَلَـى الخَلْـقِ بِبَعْـثِ الرُّسُـلِ

ثُـــمَّ الصَّـــلاةُ وَالسَّـــلَامُ سَـــرْمَدًا ... عَلَى النَّبِـيِّ المُصْـطَفَى نُـورِ الهُـدَى

وَبَعْـدُ هَـذَا نَظْـمُ سِـيْرَةِ النَّبِـيْ ... سَـمَّيْتُهُ مُغْتَبِطًـا "فَـتْحَ العَلِـيْ"

اِعْلَـــمْ بِـــأَنَّ اِسْـــمَهُ مُحَمَّـــدُ ... أَبُـــوهُ عَبْـــدُ اللهِ وَهُـــوَ أَحْمَـــدُ

وَجَـدُّهُ المَشْـهُورُ عَبْـدُ المُطَّلِـبْ ... مِـنْ هَاشِـمٍ وَمِـنْ قُـرَيْشٍ وَالعَـرَبْ

وَأُمُّـــهُ آمِنَـــةٌ بِنْـــتُ وَهَـــبْ ... مِـنْ زُهْـرَةٍ أَهْـلِ العُلُـوِّ وَالنَّسَـبْ

مَـاتَ أَبُـوهُ وَهْـوَ حَمْـلٌ فَوُلِـدْ ... طِفْـلًا يَتِيمًـا لِيَـرِقَّ وَيَجِـدْ

مَوْلِـــدُهُ بِمَكَّـــةَ المُكَرَّمَـــةْ ... فِـي يَـوْمِ الاثْنَـيْنِ وَكَانَـتْ مَكْرُمَـةْ

فِـي عَـامِ فِيْـلٍ فِـي رَبِيْـعِ الأَوَّلِ ... فِـي تَاسِـعٍ مِنْـهُ عَلَـى المُعَـوَّلِ

سَـمَّاهُ جَـدُّهُ الـوَفِيْ مُحَمَّـدَا ... لِيُجْتَبَـىْ بَـيْنَ الـوَرَى وَيُحْمَـدَا

وَاسْتُرْضِعَ المُخْتَارُ فِي بَنِي سَعْدْ ... مُعَـزَّزًا عِنْـدَ حَلِيمَـةِ السَّـعْدْ

وَأَرْجَعُـوهُ بَعْـدَ أَرْبَـعٍ مَضَـتْ ... وَفَارَقَتْـهُ أُمُّـهُ وَهْـوَ ابْـنُ سِـتْ

وَبَعْـدُ مَـاتَ الجَـدُّ عَبـدُ المُطَّلِـبْ ... ثُـمَّ أَبُـو طَالِـبٍ عَمُّـهُ طَلَـبْ

وَقَـدْ رَعَـى النَّبِـيُّ وَهْـوَ فِـي الصِّـغَرْ ... لَاغْنَـامَ فِـي مَكَّـةَ كَـيْ يَرْعَـى البَشَـرْ

وَصَـاحَبَ النَّبِـيُّ عَمَّـهُ إِلَـى ... بُصْـرَى بَحِيـرَا ثُـمَّ عَـادَ عَجِـلَا

وَشَـهِدَ الرَّسُـولُ فِي شَـبَابِهِ ... حِلْـفَ الفُضُـولِ، كَـانَ مُعْجَبًـا بِـهِ

وَاشْتَغَلَ النَّبِيُّ فِي التِّجَارَةِ ... مُشْتَهِرًا بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ
وَاسْتَأجَرَتْ مُحَمَّدًا خَدِيجَةْ ... فِي مَالِهَا فَكَانَتِ النَّتِيجَةْ
زَوَاجُهَا مِنْهُ وَخَيرًا فَعَلَتْ ... وَهُو ابْنُ خَمْسٍ بَعْدَ عِشْرِينَ مَضَتْ
وَفِي بِنَاءِ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةْ ... شَارَكَ حَمْلًا ثُمَّ رَبِّيْ شَرَّفَهْ
بِالصُّلْحِ بَيْنَ القَوْمِ حِينَ اخْتَصَمُوا ... مَنْ يَضَعُ الحَجَرَ وَبِهِ رَضُوا
ثُمَّ أَتَى جِبْرِيلُ فِي غَارِ حِرَا ... وَنُبِّئَ المُخْتَارُ "اِقْرَأْ" فَقَرَا
وَأُرْسِلَ النَّبِيُّ بِالمُدَّثِرْ ... وَجَاءَ فِي الآيَاتِ "قُمْ فَأَنْذِرْ"
فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَدْعُو قَوْمَهُ ... مُبْتَدِئًا أُسْرَتَهُ وَأَهْلَهُ
فَآمَنَتْ خَدِيجَةُ الكُبْرَى بِهِ ... زَيْدٌ عَلِيٌّ وَأَبُو بَكْرِ البَهِي
وَأَخَذَ الإِسْلَامُ فِيْهِمْ يَنْتَشِرْ ... لِلْخُلُقِ العَظِيمِ فِي خَيرِ البَشَرْ
وَجَهَرَ الرَّسُولُ بِالإِسْلَامِ ... عَلَى الصَّفَا فِي ثَالِثِ الأَعْوَامِ
فَقَالَ: "تَبًّا" عَمُّهُ أَبُو لَهَبْ ... فَأُنْزِلَتْ "تَبَّتْ" عَلَيْهِ بِاللَّهَبْ
وَكَانَتِ الآيَاتُ فِي القُرْآنِ ... تَنْزِلُ بِالتَّوْحِيدِ وَالإِيْمَانِ
وَأُوذِيَ الرَّسُولُ وَالصَّحَابَةْ ... فَصَبَرُوا وَاحْتَمَلُوا الإِصَابَةْ
وَهَاجَرُوا لِلْحَبَشَةِ سِرًّا ... مُؤَمِّلِينَ فِي النَّجَاشِي خَيْرًا
وَأَسْلَمَ الحَمْزَةُ عَمُّ المُصْطَفَى ... وَعُمَرُ الفَارُوقُ عُنْوانُ الصَّفَا
وَقَاطَعَتْ قُرَيْشُ المُسْلِمِينَا ... وَحُوصِرُوا فِي الشِّعْبِ مُرْغَمِينَا
وَكَتَبُوا ذَلِكَ فِي صَحِيفَةْ ... وَانْتُقِضَتْ بِثُلَّةٍ شَرِيفَةْ

وَبَعْدُ مَاتَ عَمُّهُ فِي العَاشِرَةْ ... وَلَحِقَتْ خَدِيجَةٌ لِلْآخِرَةْ

وَحَزِنَ النَّبِيُّ وَالصَّحَابَةْ ... لِمَوْتِ هَذَينِ وَلَا غَرَابَةْ

وَبَعْدُ أَسْرَى اللهُ بِالرَّسُولِ ... لِلْمَسْجِدِ الأَقْصَى بِبَعْضِ اللَّيلِ

وَمِنْهُ مِعْرَاجُ السَّمَا تَكْرِيمَا ... وَفَرَضَ الخَمْسَ بِهَا تَعْظِيمَا

وَذَهَبَ النَّبِيُّ نَحْوَ الطَّائِفْ ... فَعَادَ وَهْوَ مُبْتَلًى وَخَائِفْ

وَبَايَعَ الأَنْصَارَ فَوْقَ العَقَبَةْ ... كَيْ يَنْصُرُوهُ بِالدِّمَا وَالرَّقَبَةْ

وَجَاءَتِ الهِجْرَةُ لِلْمَدِينَةْ ... فَهَاجَرَ الأَصْحَابُ فِي سَكِينَةْ

وَهَاجَرَ الرَّسُولُ وَالصِّدِّيقُ ... فَكَانَ نِعْمَ الصَّاحِبُ الرَّفِيقُ

وَبُنِيَ المَسْجِدُ فِي المَدِينَةْ ... وَكُتِبَتْ وَثِيقَةٌ مَتِينَةْ

وَقَبْلَهَا آخَى رَسُولُ البَارِي ... بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ

وَقَامَتِ الدَّوْلَةُ لِلْإِيمَانِ ... وَشُرِعَتْ شَرِيعَةُ الرَّحْمَنِ

وَأَذِنَ الإِلَهُ بِالقِتَالِ ... فِي السَّنَةِ الأُولَى بِلَا جِدَالِ

فَكَانَتِ الغَزْوَاتُ وَالسَّرَايَا ... مِنَ النَّبِيْ وَالصَّحْبِ ذِي المَزَايَا

فَبَدْرٌ الكُبْرَى جَرَتْ فِي الثَّانِيَةْ ... وَقَيْنُقَاعُ لِلْيَهُودِ جَالِيَةْ

وَأُحُدٌ فِي عَامِ ثَالِثٍ أَتَتْ ... وَرَابِعٍ بَنُو النَّضِيرِ أُجْلِيَتْ

وَغَزْوَةٌ إِلَى بَنِيِّ المُصْطَلِقْ ... بِهَا حَدِيثُ الإِفْكِ أَمْسَى مُنْطَلِقْ

وَخَنْدَقٌ قُرَيْظَةٌ فِي الخَامِسَةْ ... صُلْحُ الحُدَيْبِيَّةِ كَانَ السَّادِسَةْ

وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةْ ... بَايَعَ عَنْ عُثْمَانَ خَيْرُ البَرَرَةْ

وَخَيْبَـرٌ عَلَـى اليَهُـودِ أَسْـفَرَتْ ... أَحْـدَاثُهَا فِـي عَـامِ سَـبْعَةٍ جَـرَتْ

ومُؤْتَـةٌ سَـرِيَّةٌ كَبِيـرَةْ ... قَادَتُهَـا أَسْـمَاؤُهُمْ شَـهِيرَةْ

فَـتْحٌ حُنَـيْنٌ طَـائِفٌ فِـي الثَّامِنَـةْ ... ثُـمَّ تَبُـوكُ آخِـرٌ فِـي التَّاسِـعَةْ

وَحَجَّـةُ الـوَدَاعِ حَجَّهَـا النَّبِـيْ ... فِـي عَـامِ عَشْـرَةٍ بِـأُمِّي وَأَبِـيْ

وَمَـرِضَ النَّبِـيُّ بَعْـدَ عَوْدَتِـهْ ... وَقَـرَّ عِنْـدَ عَـائِشٍ حَبِيْبَتِـهْ

وَاشْـتَدَّتِ الأَوْجَـاعُ بِالْخَلِيـلِ ... وَسَـكَرَاتُ المَـوْتِ وَالرَّحِيـلِ

وَأَسْـلَمَ الـرُّوحَ كَسَـائِرِ البَشَـر ... فِي يَـوْمِ الاثْنَيْنِ وَفِي الثَّانِي عَشَرْ

رَبِيعَـا الأَوَّلَ صَـلَّى اللهُ ... عَلَيْـهِ ثُـمَّ بِالْهُـدَى جَـازَاهُ

قَـدْ بَلَـغَ اْربَعِـينَ عِنْـدَ بِعْثَتِـهْ ... وَجَـاوَزَ الخَمْسِـينَ عِنْـدَ هِجْرَتِـهْ

بَعْـدَ ثَـلَاثٍ مَـعَ سِـتِّينَ سَـنَةْ ... مَـاتَ فَمَـا أَطْيَبَـهُ وَأَحْسَـنَهْ

أَوْلَادُهُ القَاسِـمُ، عَبْـدُ اللهِ ... الطَّـاهِرُ الطَّيِّـبُ عِنْـدَ اللهِ

فَاطِمَـةٌ وَزَيْنَـبٌ رُقَيَّـةْ ... وَأُمُّ كُلْثُـومٍ أَيَـا أُخَيَّـه

كَـذَاكَ إِبْـرَاهِيمُ مِـنْ مَارِيَّـةْ ... وَوَلَـدَتْ خَدِيجَـةُ البَقِيَّـةْ

زَوْجَاتُـهُ خَدِيجَـةٌ وَعَائِشَـةْ ... وَسَـوْدَةٌ وَحَفْصَـةٌ جُوَيْرِيَـةْ

وَهِنْـدُ ثُـمَّ رَمْلَـةٌ وَزَيْنَـبْ ... صَـفِيَّةٌ مَيْمُونَـةٌ وَزَيْنَـبْ

أَسْـلَمَ مِـنْ أَعْمَامِـهِ اِثْنَـانِ ... حَمْـزَةُ وَالْعَبَّـاسُ يَـا إِخْـوَانِي

وَأَسْـلَمَتْ عَمَّتُـهُ صَـفِيَّةْ ... أُمُّ الزُّبَيْـرِ اْمْـرَأَةٌ قَوِيَّـةْ

خُلُقُـهُ كَـانَ هُـوَ الْقُـرآنُ ... أَدَّبَـهُ خَالِقُـهُ الـرَّحْمَنُ

فَكَانَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ أَخْلَاقِهِ ... وَالرِّفْقُ وَالسَّخَاءُ فِي أَعْمَاقِهِ

يُعَامِلُ الْخَلْقَ بِلِينٍ سَائِغِ ... وَيَكْسَبُ الْأَعْدَا بِعَفْوٍ بَالِغِ

وَهْوَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ أُسْوَةْ ... فَلْنَتَّبِعْهُ فَهْوَ خَيْرُ قُدْوَةْ

وَالْخَتْمُ صَلَّى رَبُّنَا وَسَلَّمَا ... عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَكَرَّمَا

وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ ... وَكُلِّ تَابِعٍ مِنَ الْأَبْرَارِ

نَظَمَهَا أَبُو مُجَاهِدٍ وَهُوْ ... مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَصْلُهُ وَفَصْلُهُ

فَغَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِأَبِهْ ... وَأُمِّهِ وَكُلِّ مَنْ وُصِلَ بِهْ

شرحُ المقدِّمة

الحَمْـــــدُ للهِ العَظِـــــيمِ الأَوَّلِ ... مَـنَّ عَلَـى الخَلْـقِ بِبَعْـثِ الرُّسُـلِ

ثُـــمَّ الصَّـــلاةُ وَالسَّـــلَامُ سَـــرْمَدًا ... عَلَى النَّبِيِّ المُصْطَفَى نُورِ الهُدَى

وَبَعْـــدُ هَـــذَا نَظْـــمُ سِـــيْرَةِ النَّبِـــيْ ... سَـــمَّيْتُهُ مُغْتَبِطًـــا "فَـــتْحَ العَلِـــيْ"

بدأ شيخنا – حفظه الله – هذا النَّظم بحمدِ الله تعالى والثَّناء عليه بِمَا هو أهلُه فقال: (الحَمْدُ للهِ): والحَمْدُ: هو الثَّناء على الله ﷻ مع حُبِّهِ وتعظيمه، والثَّناء عليه بصفاتِ الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمدُ الكامل بجميع الوجوه.

(للهِ): الله: اسمٌ مِن أسماء الله تعالى، ولا يُسمَّى به غير الرَّبِّ ﷻ، ومعناه: ذو الألوهيَّة والعبوديَّة على خلقهِ أجمعين.

(العَظِيمِ): اسمٌ مِن أسماء الله تعالى، ومعناه: الذي يعظِّمهُ خلْقه ويهابونه ويتَّقونه، وهو اسمٌ أثبته الله لنفسه في كتابه فقال: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1]، وقال: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[2]، وأثبته له نبيُّه ﷺ كما في

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٢) سورة الواقعة: ٧٤، ٩٦؛ وسورة الحاقة: ٥٢.

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ"(١).

(الأَوَّلِ): وهذا اسمٌ مِن أسماء الله تعالى، ومعنى الأوَّل: ليس قبله شيء؛ لأنَّه لو كان قبله شيءٌ لكان الله تعالى مخلوقًا وهو جَلَّ جَلَالُهُ الخالق، فكلُّ الموجودات بعد الله تعالى، ولا أَحدَ مع الله ولا قبل الله. وقد ثبت هذا الاسم في الكتاب والسُّنَّة، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢)، وقد علَّم النَّبي ﷺ صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يقولوا إذا أووا إلى فراشهم: "اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ"(٣).

(مَنَّ عَلَى الخَلْقِ بِبَعْثِ الرُّسُلِ): وهذا مِن فضل الله تعالى ومِنَّتِهِ على خلقه، ومِن حكمته البالغة، ورحمته الواسعة، بأن أرسل إليهم الرُّسل؛ لإرشادهم إلى مَا

---

(١) رواه البخاري ح٦٤٠٦.

(٢) سورة الحديد: ٣.

(٣) رواه مسلم ح٢٧١٣.

فيه سعادتهم في الدُّنيا والآخرة.

وقد بعثَ الله ﷻ في كلِّ أمَّةٍ رسولًا، وكلُّهم يدعو إلى عبادة الله تعالى، وينهى عن عبادة مَا سواه، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[1]، وكان أولهم نوحٌ عليه السلام إلى أن ختمهم بمحمَّدٍ ﷺ.

وقد أنعمَ الله تعالى وتفضَّل على المؤمنين العرب، إذ بعثَ فيهم النَّبيَّ ﷺ مِنهم، يتلو عليهم الآيات، ويُطهِّرهم مِنَ الشِّركِ والأخلاق الفاسدة، ويُخرجهم مِنَ الظلمات إلى النُّور، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

(ثُمَّ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ): وبعد أن حَمِدَ الله تعالى في بداية النَّظْم، ثنَّى بالصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ ﷺ، وقد أتى بهما؛ امتثالًا لقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[3]. قال أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "صلاة الله ثناؤه عليه

---

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٦.

عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدُّعاء"[1]، وأمَّا التَّسليم الذي أَمَرَ الله تعالى به عباده، فقد قال القاضي أبو بكر بن بكير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفي معنى السَّلام عليه ثلاثة وجوه: **أحدهما**: السَّلامة لك ومعك، ويكون السَّلام مصدرًا كاللَّذاذ واللَّذاذة. **الثَّاني**: أي السَّلام على حِفظِكَ وَرِعايتِكَ متولٍّ له وكفيل به، ويكون هنا السَّلام اسم الله. **الثَّالث**: أنَّ السَّلام بمعنى المسالمة له والانقياد. كما قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2]"[3].

(**سَرْمَدًا**): أي: صلَّى الله على النَّبيِّ ﷺ صلاةً وسلامًا دائمين مستمرين لا ينقطعان.

(**المُصْطَفَى**): هو الذي اصطفاه واختاره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجعله مِن صفوة خلقه، والمُراد به هنا نبيّنا محمَّد ﷺ، فهو خيارٌ مِن خيار، كما في حديث وائلة بن الأسقع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: "إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي

---

(١) صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، (٦/ ١٢٠).

(٢) سورة النساء: ٦٥.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، للقاضي عياض، دار الفيحاء، عمان، ط٢، (٢/ ١٣٨).

هَاشِمٍ"[1]. والرُّسل كلُّهم أيضًا مُصطَفِين؛ لأنَّ الله تعالى قد اصطفاهم، كما أخبر في كتابه بقوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾[2].

(نُورِ الهُدَى): وذلك أنَّ الله تعالى أنارَ بنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ الحقَّ، وأظهرَ به الإسلام، ومَحقَ به الشِّرك، فهو نورٌ لِمن استنارَ به، إذ إنَّه يُبيِّن الحقَّ، وقد قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[3]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[4].

(وَبَعْدُ): الواو هنا قائمةٌ مقام أمَّا، كلمة يؤتى بها للانتقال مِنَ المُقدِّمة إلى المقصود بالكلام.

(نَظْمُ): النَّظمُ: التَّأليف، والنِّظام: العِقْدُ من الجوهر والخرز ونحوهما، والانتظام: الاتِّساق[5]، والمقصود بالنَّظم: هو الكلام الموزون المقفَّى.

---

(١) رواه مسلم ح٢٢٧٦.

(٢) سورة ص: ٤٧.

(٣) سورة المائدة: ١٥.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٥، ٤٦.

(٥) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤، (١٢/ ٥٧٨).

(سِيْرَةِ النَّبِيْ): والسِّيرةُ هي الطَّريقة سواءً أكانت حسنةً أو سيِّئةً، محمودةً أو مذمومةً، ولكن إذا أُضيفت السِّيرة للنَّبيِّ ﷺ فهي أزكى سيرة على الإطلاق؛ إذ إنَّها تتميَّز بشمولها التَّام، وأنَّها متكاملة، شاملة لجميع مناحي الحياة. والسِّيرة النَّبويَّة اصطلاحًا: هي علمٌ يبحثُ في حياة الرَّسول ﷺ منذُ ولادته إلى حين وفاته.

(سَمَّيْتُهُ مُغْتَبِطًا "فَتْحَ العَلِيْ"): أي: يريد النَّاظم أنَّه حين سمَّى هذا النَّظم بفتحِ العلي في نظم سيرة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان (مُغْتَبِطًا) يشعرُ بمسرَّةٍ وارتياحٍ شديد.

اسمه ونسبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

اِعْلَمْ بِأَنَّ اِسْمَهُ مُحَمَّدُ ... أَبُوهُ عَبْدُ اللهِ وَهُوَ أَحْمَدُ
وَجَدُّهُ المَشْهُورُ عَبْدُ المُطَّلِبْ ... مِنْ هَاشِمٍ وَمِنْ قُرَيْشٍ وَالعَرَبْ
وَأُمُّهُ آمِنَةٌ بِنْتُ وَهَبْ ... مِنْ زُهْرَةٍ أَهْلِ العُلُوِّ وَالنَّسَبْ

(اِعْلَمْ): كلمةُ أَمرٍ بالعلم، تُشير إلى الاهتمام بالموضوع، وفيها توجيه وتنبيه وتعليم.

(اسْمَهُ مُحَمَّدُ): هو مُحمَّد بن عبدِ الله بن عبد المُطَّلب بن هَاشم بن عبد مُناف بن قُصي بن كلاب بن مُرَّة بن كَعب بن لُؤي بن غَالب بن فهر بن مَالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. إلى هنا معلوم الصِّحة. ومَا فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف أن عدنان مِن ولد إسماعيل.

وله أسماء غير محمَّد، لكنه أشهرها، وقد ذكر الله تعالى ذلك في القرآن الكريم في أربع مواضع، فقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[1]، وقال: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾[2]، وقال: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾[3].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أمَّا مُحمَّد، فهو اسم مفعول مِن حمد فهو محمَّد، إذا كان كثير الخصال التي يُحمد عليها؛ ولذلك كان أبلغ مِن محمود، فإنَّ محمودًا مِنَ الثُّلاثي المجرَّد، ومُحمَّد مِنَ المضاعف للمبالغة، فهو الذي يُحمد أكثر ممَّا يُحمد غيره مِنَ البشر؛ ولهذا - والله أعلم - سُمِّيَ به في التَّوراة لكثرة الخصال المحمودة التي وُصِفَ بها هو ودينه وأمَّته في التَّوراة، حتَّى تمنَّى موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يكون منهم"[4].

(أَبُوهُ عَبْدُ اللهِ): كان شابًّا نسيبًا جميلًا، وسيمًا، غض الإهاب، قوي البنيان، وكان أحب ولد إلى أبيه عبد المطَّلب، ولمَّا بَلَغَ عبد الله خمسًا وعشرين سنة زوَّجه آمنة بنت وهب. وقد فداه والده بمائةٍ مِنَ الإبل بدلًا مِن ذبحه؛ وذلك عندما نَذَر

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٢) سورة محمد: ٢.

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥، (١/ ٨٧).

إن وهبه الله تعالى عشرةً مِنَ الأبناء أن يتقرَّب إلى الله بذبح أحدهم، فتمَّ له مَا رجا، وأعطاه الله تعالى عشرةً، فأقرع بينهم أيُّهم يذبحه، فوقعت القرعة على عبد الله فلم يذبحه ووداه بمائةٍ مِنَ الإبل. وتوفي عَبْدُ اللهِ قبل ولادة النَّبيِّ ﷺ على الصَّحيح، وليس له أحدٌ مِنَ الأولاد – ذكورًا وإناثًا – سوى محمَّد ﷺ.

(وَهُوَ أَحْمَدُ): وهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حظًّا وافرًا مِنَ الحمد لربِّه؛ حتى يؤدِّي به جزءًا مِنَ الشُّكر على إنعام الله تعالى عليه وعلى أمَّته، ومِن أبلغ صور الحمد الذي يتجلَّى يوم القيامة عندما يأتي إليه النَّاس للشَّفاعة، فيفتحُ الله تعالى عليه مِن محامده وحسن الثَّناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبله.

واسمُ (أحمد) هو الاسم الذي سمَّاه به المسيح لبني إسرائيل، وجاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[1]، وما جاء في حديث جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ"[2].

---

(١) سورة الصف: ٦.

(٢) رواه البخاري ح٤٨٩٦.

(وَجَدُّهُ المَشْهُورُ عَبْدُ المُطَّلِبْ): أي جدُّ النَّبي محمَّد ﷺ عبد المطَّلب بن هاشم، واسمه (شَيْبَةُ)، ويقال له: (شيبة الحمد)؛ لجوده وجماع أَمر قريش إليه وقد اشتُهِرَ ولُقِّبَ: بعبد المطَّلب؛ لأنَّ عمَّه المطَّلب قَدِمَ به مكَّة وهو رديفه وقد اسودَّ لونه بسبب السَّفر، فظنُّوا أنَّه عبد مملوك للمطَّلب فقالوا: هذا عبد المطَّلب فعلِقَ به هذا الاسم، وصار المشهور بين النَّاس، حتى كان انتسابُ النَّبيِّ ﷺ إليه كما في قصَّة يوم حُنَيْنٍ أنَّه كان يرتجزُ ويقول: "أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ"(١).

(مِنْ هَاشِمٍ وَمِنْ قُرَيْشٍ وَالعَرَبْ): وهو: هاشم بن عبد مناف؛ ولهذا يُقال له هو وقبيلته: بنو هاشم، وهاشم مِن قريش، وقريش مِنَ العرب، والعرب مِن ذريَّة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصَّلاة والسَّلام.

(وَأُمُّهُ آمِنَةٌ بِنْتُ وَهَبْ ** مِنْ زُهْرَةٍ أَهْلِ العُلُوِّ وَالنَّسَبْ): وأمُّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرَّة بن كعب بن لؤي، وهي يومئذ تُعدُّ أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا، وأبوها سيِّد بني زهرة نسبًا وشرفًا، فبنى بها عبد الله في مكَّة. ولمَّا بلغ النَّبيُّ ﷺ ست سنين توفيت والدته بين مكَّة والمدينة

(١) رواه البخاري ح٢٨٦٤، ومسلم ح١٧٧٦.

بالأبواء، وهي راجعة به إلى مكَّة بعد زيارةٍ قامت بها معه ﷺ إلى أخوال جدِّه عبد المطلب، بالمدينة المنورة.

مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

مَـاتَ أَبُـوهُ وَهْـوَ حَـمْـلٌ فَـوُلِـدْ ... طِـفْـلًا يَـتِـيـمًـا لِـيَـرِقَّ وَيَـجِـدْ

مَوْلِـــدُهُ بِمَكَّـــةَ المُكرَّمَـــةْ ... فِـي يَـوْمِ الاثْنَـيْنِ وَكَانَـتْ مَكْرُمَـةْ

فِـي عَـامِ فِيْـلٍ فِـي رَبِيْـعِ الأَوَّلِ ... فِـي تَاسِـعٍ مِنْـهُ عَلَـى المُعَـوَّلِ

سَـمَّاهُ جَـدُّهُ الـوَفِيْ مُحَمَّـدَا ... لِيُجْتَبَـىْ بَـيْنَ الـوَرَى وَيُحْمَـدَا

(مَاتَ أَبُوهُ وَهْوَ حَمْلٌ فَوُلِدْ ** طِفْلًا يَتِيمًا لِيَرِقَّ وَيَجِدْ): وهذا الصَّحيح، وهو أنَّ وفاة والده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كانت وهو حَمْلٌ في بطن أمِّه، وهذا أبلغُ درجات اليُتم، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والمقصود أنَّ أمَّه حين حملت به توفي أبوه عبد الله وهو حمْل في بطن أمِّه على المشهور"(١).

وممَّا ذُكِرَ في وفاته: أنَّ والده عبد الله خرج إلى الشَّام في عيرٍ مِن عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا مِن تجاراتهم ثم انصرفوا، فمرُّوا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض، فقال عبد الله: أتخلَّف عند أخوالي بني عدي بن النَّجَّار، فأقام عندهم مريضًا شهرًا، ومضى أصحابه فقدموا مكَّة، فسألهم عبد المطلب عن عبد الله، فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النَّجَّار، وهو مريض، فبعث إليه عبد

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ، (٢/ ٣٢٢).

المطلب أكبر ولده الحارث، فوجده قد توفي وَدُفِنَ في دار النَّابغة، وهو رجل مِن بني عدي بن النَّجَّار، فرجع الحارث بن عبد المطَّلب إلى أبيه عبد المطَّلب، فأخبره أنَّ عبد الله قد تُوفِّي، فَوَجَدَ عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وَجدًا شديدًا[1].

وقد اختار الله تعالى لنبيِّه ﷺ اليُتمَ لِحِكَمٍ بالغة، وأهدافٍ سامية، ولكنَّ الله لم يترك خليله، ولم يتخلَّ عنه؛ بل امتنَّ عليه سبحانه فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[2]، فالله سبحانه هو الذي آواه ورعاه وربَّاه.

(مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ المُكرَّمَةْ): ولد النَّبيُّ ﷺ في مكَّة المكرَّمة في دار أبي طالب بشعب بني هاشم.

(فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ): وكانت ولادته في يوم الاثنين جزمًا، كما في حديث أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ؟ قَالَ: "ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ -"[3].

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٣٢٢).

(٢) سورة الضحىٰ: ٦.

(٣) رواه مسلم ح١١٦٢.

(وَكَانَتْ مَكْرُمَةْ): حيثُ رأت أُمَّه حين ولدت به كأنَّه خَرَجَ منها نورٌ أضاءت له قصور بُصرى بالشَّام.

(فِي عَامِ فِيْلٍ): أي في العام المعروف بعام الفيل؛ للقصَّة المعروفة التي وقعت في ذلك العام لأبرهة الحبشي لمَّا قَدِمَ في جيش عظيم يريد هدم الكعبة، فأهلكه الله تعالى كما أخبر عنه في سورة الفيل بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾[1].

وهذا العام الذي وُلِدَ فيه النَّبيُّ ﷺ مجزوم به كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا خلاف أنَّه وُلِدَ ﷺ بجوف مكَّة، وأنَّ مولده كان عام الفيل"[2].

(فِي رَبِيْعِ الأَوَّلِ): وقد اختلف أهلم العلم في أيِّ يومٍ مِن شهر ربيع الأوَّل وُلِدَ النَّبيُّ ﷺ، ولكنَّ المشهور عندهم أنَّه في الثَّاني عشر منه.

(فِي تَاسِعٍ مِنْهُ عَلَى المُعَوَّلِ): اختار شيخنا – حفظه الله – تبعًا لبعض المحقِّقين أنَّ ولادته ﷺ كانت في اليوم التَّاسع مِن ربيع الأوَّل.

---

(١) سورة الفيل: ١-٥.

(٢) زاد المعاد، (١/ ٧٤).

(سَمَّاهُ جَدُّهُ الوَفِيْ مُحَمَّدَا ** لِيُجْتَبَىْ بَيْنَ الوَرَى وَيُحْمَدَا): قال البيهقيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فلمَّا كان اليوم السَّابع ذبح عنه، ودعا له قريشًا، فلمَّا أكلوا قالوا: يا عبد المطَّلب، أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه، مَا سمَّيته؟ قال: سمَّيته محمَّدًا. قالوا: فلِمَ رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردتُ أن يحمده الله تعالى في السَّماء، وَخَلْقِهِ في الأرض"[1].

(١) دلائل النبوة، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، (١/ ١١٣).

رضاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (١)

وَاسْتُرْضِعَ المُخْتارُ فِي بَنِي سَعْدْ ... مُعَــزَّزًا عِنْــدَ حَلِيمَــةِ السَّــعْدْ

وَأَرْجَعُــوهُ بَعْــدَ أَرْبَــعٍ مَضَــتْ ....

وَاسْتُرْضِعَ للنَّبيِّ ﷺ مِن بني سعد بن بكر امرأةً يقال لها: حليمة بنت أبي ذؤيب السَّعديَّة؛ حيث كان مِن عادة أشراف العرب أن يتلمَّسوا المراضع لأولادهم في البوادي ليكون ذلك أنجب للولد، وأصح للبدن، وأصفى للذِّهن، وأبعد عن الكسل، هذا إلى مَا في نشأتهم بين الأعراب مِن استقامة اللِّسان بالفصيح مِنَ الكلام، والسَّلامة مِنَ اللَّحن. وقد حلَّت البركة على حليمة، فسَمِنَت غَنَمُها، وَدَرَّ حليبُها، وعظُمَتْ أبدانُها، وكَثُر خيرها.

وكانت حليمة قد خَلَفَتْ ثويبة مولاة أبي لهب على رضاعة النَّبيِّ ﷺ، وثويبة خَلَفَتْ أُمَّه، فإنَّ مرضعاته ﷺ ثلاث: أمُّه آمنة بنت وهب، وثويبة مولاة أبي لهب، وحليمة السَّعديَّة.

(وَأَرْجَعُوهُ بَعْدَ أَرْبَعٍ مَضَتْ): وبعد أن أكمل النَّبيُّ ﷺ عامين وأتمَّ الرَّضاعة جاءت به حليمة إلى والدته في مكَّة وهو في صحَّة طيِّبة، ونشأةٍ قويمة؛

(١) قلت: فات شيخنا حفظه الله تعالىٰ ذِكر حادثة شقِّ الصَّدر، مع ورودها في كتب السيرة باستفاضة.

لتقنع أمَّه أن تبقيه عندها مدَّة أطول، فوافقت آمنة على ذلك، فعادت به حليمة معها، فبقي عندها عامين آخرين، ثمَّ أرجعته وقد أكمل عندها أربع سنوات.

وفي هذه الفترة التي كان النَّبيُّ ﷺ فيها عند حليمة حدثت له حادثة شقِّ الصَّدر، وكان عمره حينها سنتان وشهران، وقيل: أربع سنوات، وهو قول الأكثر مِن أهل السِّيَر، وهذه الحادثة تكرَّرت أكثر مِن مَرَّةٍ كما أشارت إلى ذلك بعض كُتُب السِّيرة النَّبويَّة.

روى مسلمٌ في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: "وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ"(١).

(١) رواه مسلم ح١٦٢.

وفاة أُمّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

وَفَارَقَتْــهُ أُمُّــهُ وَهْــوَ ابْــنُ سِــتْ .....

أي لمَّا بلغ النَّبيُّ ﷺ ستُّ سنواتٍ ماتت والدته آمنه بنت وهب بالأبواء، وهي راجعة به إلى مكَّة بعد زيارةٍ قامت بها معه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى أخوال جدّه عبد المطلب، بالمدينة المنوَّرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "ثم توفِّيت أُمُّه آمنة بنت وهب وله مِنَ العُمر ست سنين"(١). وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولا خلاف أنَّ أُمّه مَاتت بين مكَّة والمدينة "بالأبواء" منصرفها مِنَ المدينة مِن زيارة أخواله، ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين"(٢).

(١) تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، (٨/ ٤١٣).

(٢) زاد المعاد، (١/ ٧٥).

كفالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

وَبَعْـدُ مَـاتَ الجَـدُّ عَبـدُ المُطَّلِـبْ ثُـمَّ أَبُـو طَالِـبِ عَمُّـهُ طَلَـبْ

(وَبَعْدُ): أي: وبعد وفاة والده عبد الله كَفله جدُّه عبد المطَّلب وكان أحبُّ إليه مِن جميع أولاده، فضمَّه ورقَّ عليه رقَّةً لم يرقَّها على أَحَدٍ مِن أولاده، وكان يقرِّبه منه ويُدنِيه، ويدخل عليه إذا خلا، وإذا نام، وكان لا يأكل طعامًا إلَّا قال: "علي بابني" فيؤتى به صلى الله عليه وآله وسلم إليه(١). وإذا أراد بنو عبد المطَّلب منعه قال عبد المطَّلب: "دعوا ابني، فو الله إنَّ له لشأنًا"(٢).

(مَاتَ الجَدُّ عَبدُ المُطَّلِبْ): مات عبد المطَّلب وكان عُمر النَّبيِّ ﷺ ثماني سنوات، وبعد وفاة أُمِّه بسنتين، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "ثمَّ كان في كفالة جدَّه عبد المطَّلب إلى أن توفي وله مِنَ العُمر ثمانِ سنين"(٣).

(ثُمَّ أَبُو طَالِبِ عَمُّهُ طَلَبْ): أي ضمَّه إليه عمُّه أبو طالب وقام على رعايتـه،

---

(١) الطبقات الكبرىٰ، لابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، (١/ ٩٥).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفىٰ السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ، (١/ ١٦٨).

(٣) تفسير ابن كثير، (٨/ ٤١٣).

ولم يزل يحوطه وينصره ويرفع مِن قدره ويوقِّره ويكفَّ عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة مِن عُمره.

وقد كان أبو طالب يقول في أشعاره حين أجمع لذلك مِن نصرة رسول الله ﷺ والدِّفاع عنه على مَا كان مِن عَداوة قومه:

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَامْضِ لِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... أَبْشِرْ وَقِرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيونَا
وَدَعَوتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحِي ... فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارِ سُبَّةً ... لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا

وقد خُصَّ عمُّه أبو طالب مِن بين أعمامه بكفالته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأمرين، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكان رسول الله ﷺ بعد جدّه عبد المطَّلب مع عمِّه أبي طالب لوصيةِ عبد المطَّلب له به، ولأنَّه كان شقيق أبيه عبد الله، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. قال: فكان أبو طالب هو الذي يلي أَمْرَ رسول الله ﷺ وكان إليه ومعه"(١).

(١) البداية والنهاية (٢/ ٣٤٤).

رعايته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للأغنام

وَقَدْ رَعَى النَّبِيُّ وَهْوَ فِي الصِّغَرْ ... لِلأغْنَامِ فِي مَكَّةَ كَيْ يَرْعَى البَشَرْ

(وَقَدْ رَعَى النَّبِيُّ وَهْوَ فِي الصِّغَرْ): اشتغل النَّبيُّ ﷺ في صباه برعي الغنم، فقد رعاها لأهله، ورعاها لبعض أهل مكَّة، وبذلك ضرب مثلًا عاليًا مِن صغره في اكتساب الرِّزق بالكدِّ والتَّعب، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ"، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: "نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ"(١).

(كَيْ يَرْعَى البَشَرْ): وهذه مِنَ الحِكَمِ الجليلة في رعي الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ للغنم، فقد قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء مِن رعي الغنم قبل النُّبوَّة أمور، منها:

١- أنَّه يحصل لهم التَّمرُّن برعيها على مَا يكفلونه مِنَ القيام بأمر أُمَّتهم.

٢- أنَّ في مخالطتها مَا يحصل لهم الحلم والشَّفقة؛ لأنَّهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرُّقها في المرعى، ونقلها مِن مسرحٍ إلى مسرحٍ، ودفع عدوِّها مِن سِبع وغيره كالسَّارق، وعلموا اختلاف طباعها، وشدَّة تفرُّقها مع ضعفها،

(١) رواه البخاري ح٢٢٦٢.

واحتياجها إلى المعاهدة أَلِفُوا مِن ذلك الصَّبر على الأمَّة، وعرفوا اختلاف طِباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التَّعاهد لها، فيكون تحمُّلهم لمشقة ذلك أسهل ممَّا لو كُلِّفوا القيام بذلك مِن أوَّل وهلة، لِما يحصل لهم مِنَ التَّدريج على ذلك برعي الغنم.

٣- خُصَّت الغنم بذلك؛ لكونها أضعف مِن غيرها؛ ولأنَّ تفرُّقها أكثر مِن تفرُّق الإبل والبقر؛ لإمكان ضبط الإبل والبقر بالرَّبط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثريَّة تفرُّقها، فهي أسرع انقيادًا مِن غيرها.

٤- وفي ذِكر النَّبي ﷺ لذلك بعد أن عَلِمَ كونه أكرم الخلق على الله مَا كان مِن عظيم التَّواضع لربِّه، والتَّصريح بمنَّته عليه، وعلى إخوانه مِنَ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء[1].

(١) فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، (٤/ ٤٤١).

رحلته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الشام

وَصَـــاحَـبَ الـنَّـبِـيُّ عَـمَّـهُ إِلَـى بُصْـرَى بَحِيـرَا ثُـمَّ عَـادَ عَجِـلَا

(وَصَاحَبَ النَّبِيُّ عَمَّهُ): أي صاحب النَّبيُّ ﷺ عمَّه أبو طالب في تجارته، وهو يافعٌ في مبتدإِ شبابه، وكان عُمره اثني عشر عامًا.

(إِلَى بُصْرَى): وهي بلدةٌ مِن بلاد الشَّام، وكانت بُصرى مدينة حوران، وهي في منتصف المسافة بين عمَّان ودمشق، وهي اليوم آثار قرب مدينة "درعة" التي احتلَّت محلَّها حتى ظنَّ بعض النَّاس أنَّها هي، وبُصرى ودرعة داخل حدود الجمهوريَّة السُّوريَّة على أكيال مِن حدود المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة الشِّماليَّة. وحوران: إقليم مِن بلاد الشَّام يشمل معظم المنطقة الواقعة بين عمَّان - قاعدة البلقاء - وبين دمشق التي يعدُّها بعضهم مِن حوران. وطريق آثار بُصرى يخرج مِن مدينة درعة باتِّجاه الشَّرق، وهي قرب السُّفوح الغربيَّة لجبل الدُّروز (اسمه اليوم جبل العرب)[1].

ورحلته هذه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مع عمِّه أبي طالب إلى الشَّام هي الرِّحلة الأولى. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "وخرج به عمُّه إلى الشَّام في تجارةٍ وهو ابن ثنتي

(١) معجم المعالم الجغرافيَّة في السِّيرة النَّبوِيَّة، عاتق بن غيث البلادي الحربي، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ، ص٤٤.

عشرة سنة، وذلك مِن تمام لُطفه به، لعدم مَن يقومُ به إذا تركه بمكَّة، فرأى هو وأصحابه ممَّن خرج معه إلى الشَّام مِنَ الآيات فيه ﷺ مَا زاد عمُّه في الوصاة به والحرص عليه، كما رواه التِّرمذي في جامعه بإسنادٍ رجاله كلُّهم ثقات، مِن تظليل الغمامة له، وميل الشَّجرة بظلِّها عليه، وتبشير بَحِيرا الرَّاهب به، وأمره لعمه بالرُّجوع به لئلَّا يراه اليهود فيرومونه سوءًا، والحديث له أصل محفوظ وفيه زيادات أخر"[1].

(بَحِيرَا): هو بَحِيرَا الرَّاهب، واسمه جرجيس، وكان يسكن في بصرى الشَّام، فلمَّا نزل الرَّكب خَرج إليهم، وأكرمهم بالضِّيافة، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك، وَعَرَفَ رسول الله ﷺ بصفته، فقال وهو آخذ بيده: هذا سيِّد العالمين، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين. فقال أبو طالب: ومَا عِلمُك بذلك؟ فقال: إنَّكم حين أشرفتم مِنَ العقبة، لم يَبقَ حَجَرٌ ولا شَجَرٌ إلَّا وخرَّ ساجدًا، ولا تسجد إلَّا لنبيٍّ، وإنِّي أعرفه بخاتم النُّبوَّة في أسفل غضروف كتفه مثل التُّفَّاحة، وإنَّا نجده في كتبنا[2].

---

(١) الفصول في السِّيرة، لابن كثير، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، ط٣، ١٤٠٣هـ، ص٩٣.

(٢) الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، ١٤٢٧هـ، دار الهلال، بيروت، ص٤٩.

(ثُمَّ عَادَ عَجِلَا): وذلك بعد مَا سأل بَحِيرَا أبا طالب أن يردَّه إلى مكَّة، ولا يقدم به إلى الشَّام؛ خوفًا عليه مِنَ اليهود، فبعثه عمُّه مع بعض غلمانه إلى مكَّة.

حِلْفُ الفُضُول ومشاركته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيه

وَشَـــهِدَ الرَّسُـــولُ فِي شَـــبَابِهِ حِلْـفَ الفَضُـولِ، كَـانَ مُعْجَبًـا بِـهِ

(وَشَهِدَ الرَّسُولُ فِي شَبَابِهِ) أي شَهِدَ الرَّسول ﷺ حِلْفَ الفضول، وكان هذا في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة، منصرف قريش مِن حرب الفُجَّار، ولرسول الله ﷺ يومئذٍ عشرون سنة.

(حِلْفَ الفَضُولِ): هو أكرمُ حِلْفٍ سُمِعَ به، وأشرفه في العرب، وكان أوَّل مَن تكلَّم به ودعا إليه: الزُّبير بن عبد المطَّلب. وكان سببه أنَّ رجلًا مِن زبيد قَدِمَ مكَّة ببضاعةٍ فاشتراها منه العاصُ بن وائل فَحَبَسَ عَنهُ حَقَّهُ، فَاسْتَعْدَى عليه الزُّبيديُّ الأحلافَ عبد الدَّار ومخزومًا وجمحًا وسَهْمًا وعَدِيَّ بن كعب، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزَبَرُوه - أي انتهروه - فلمَّا رأى الزُّبيدِيُّ الشَّرَّ أوفى على أبي قُبَيْس عند طلوع الشَّمس، وقريشٌ في أنديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

يَـــا آلَ فِهْـــرٍ لِمَظْلُـــومٍ بِضَـــاعَتُهُ بِـبَطْنِ مَكَّـــةَ نَـائِي الـــدَّارِ وَالنَّفَـــرِ
وَمُحْـرِمٍ أَشْـعَثٍ لَـمْ يَقْـضِ عُمْرَتَـهُ يَـا لَلرِّجَـالِ وَبَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحَجَرِ
إِنَّ الْحَـــرَامَ لِمَـــنْ تَمَّـــتْ كَرَامَتُـــهُ وَلَا حَـــرَامَ لِثَـــوْبِ الْفَـــاجِرِ الْغُـــدَرِ

فقام في ذلك الزُّبير بن عبد المطَّلب وقال: مَا لِهَذَا مُتْرَكٌ. فاجتمعت هاشمٌ وَزُهْرَةُ وَتَيْمُ بْنُ مُرَّةَ في دار عبد الله بن جدعان فَصَنَعَ لهم طعامًا، وتحالفوا في ذي القعدة في شهرٍ حرام، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله لَيَكُونُنَّ يَدًا وَاحِدَةً مع المظلوم على الظَّالم حتى يُؤدَّيَ إليه حقُّهُ مَا بَلَّ بحرٌ صُوفَةً، وَمَا رَسَّى ثَبِيرٌ وحِراءُ مَكَانَهُمَا، وعلى التَّأَسِّي في المَعاش. فسمَّت قريشٌ ذلك الحِلف حلف الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فَضْلٍ مِنَ الأمر. ثمَّ مشوا إلى العاصِ بن وائل فانتزعوا مِنهُ سلعة الزُّبيدي فدفعوها إليه[1].

(كَانَ مُعْجَبًا بِهِ) كما في حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ أَنْكُثَهُ، وَأَنَّ لِي حُمر النَّعَمِ"[2]. وقد سُمِّيَ الحِلف بحلف الفضول، وإنَّما ورد في الحديث باسم حلف المطيبين؛ لأنَّ الذين عقدوا حِلْف المطيبين هم الذين عقدوا حلف الفضول، وحلف المطيبين جرى قديمًا بعد وفاة قصي وتنازع بني عبد مناف مع بني عبد الدَّار على الرِّفادة والسِّقاية بمكَّة[3].

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٣٥٥).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه ح٤٣٧٣، والبخاري في الأدب المفرد ح٥٦٧، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ح٤٤١/ ٥٦٧، باب حلف الجاهلية.

(٣) ينظر في مثل هذا: السنن الكبرىٰ، للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ، (٦/ ٥٩٦).

خروجه ﷺ إلى الشام للتجارة بمال خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَاشْـــتَغَلَ النَّبِـــيُّ فِـــي التِّجَـــارَةِ ... مُشْـــتَهِرًا بِالصِّـــدْقِ وَالأَمَانَـــةِ
وَاسْـــتَأجَرَتْ مُحَمَّـــدًا خَدِيجَـــةْ ... فِـــي مَالِهَـــا فَكَانَـــتِ النَّتِيجَـــةْ

ذَكَرَ شيخنا النَّاظم في هذين البيتين رحلة النَّبيّ ﷺ الثَّانية إلى الشَّام؛ ليتاجر بمال خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكان عُمره خمسًا وعشرين سنة.

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرفٍ ومالٍ، تستأجر الرِّجال في مَالها، وتضاربهم إيَّاه بشيءٍ تجعله لهم، فلمَّا بلغها عن رسول الله ﷺ مَا بلغها: مِن صِدقِ حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يَخرج في مَالٍ لها إلى الشَّام تاجرًا، وتُعطيه أفضل مَا كانت تُعطي غيره مِنَ التُّجَّار، مع غلامٍ لها يُقال له: ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها، حتى قَدِمَ الشَّام، وباركَ الله تعالى له في تجارته؛ فَرَبِحَ مَالًا كثيرًا.

والجديرُ ذِكْرُهُ أنَّ الرَّحلات النَّبويَّة إلى الشَّام كانت أربعًا، وهي: رحلتهُ مع عمِّه للتِّجارة، ورحلتهُ في مالِ خديجةَ مَع غلامها مَيسَرَةَ للتِّجارة، ورحلةُ الإسراء - على الصَّحيح -؛ أنَّه ارتحل ببدنه وروحه معًا، ورحلتهُ إلى الجهاد في غزوة

تَبوُك، وقد قيل في غزوة تبوك: (غزوتهُ ﷺ إلى الشَّام)؛ لأنَّ تبوك وإنْ لم تكُن مِنَ الشَّام فكانت تحتَ سلطان الرُّوم وهُم أهل الشَّام، فقيل في غزوة تبوك: إنَّها غزوةٌ إلى الشَّام.

(فَكَانَتِ النَّتِيجَةْ.. زَوَاجُهَا مِنْهُ): وذلك عندما عاد النَّبيُّ ﷺ إلى خديجة بأرباحٍ مضاعفة، وأدَّى لها مَا عليه، أُعجِبَت خديجة بعظيم أمانته، ودهشت لِمَا نالها مِنَ البركة بسببه، فعرضت نفسها عليه للزَّواج، فوافق على ذلك.

زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

زَوَاجُـهَـا مِـنْـهُ وَخَـيـرًا فَـعَـلَـتْ وَهُو ابْنُ خَمْسٍ بَعْدَ عِشْرِينَ مَضَتْ

وهنا يُشير النَّاظم إلى أنَّ النَّبيَّ ﷺ تزوَّج بسيِّدتنا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في نفس العام الذي خرج في تجارةِ مَالِها، وعُمْرهُ خمس وعشرين سنة، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "ثمَّ خرج ثانيًا إلى الشَّام في تجارةٍ لخديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع غلامها ميسرة على سبيل القراض، فرأى ميسرة مَا بَهَرَهُ مِن شأنه، فرجع فأخبر سيِّدتهُ بما رأى، فرغبت إليه أن يتزوَّجها؛ لِمَا رجت في ذلك مِنَ الخير الذي جمعه الله لها، وفوق مَا يخطر ببال بشر، فتزوَّجها رسول الله ﷺ وله خمس وعشرون سنة"(١)، وكان لها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أربعون سَنة، وهي أوَّل امرأةٍ تزوَّجها، وأنجبت له جميع أولاده(٢): القاسم، وعبد الله ولُقِّب بالطَّيب والطَّاهر، وزينب، ورقيَّة، وأمُّ كلثوم، وفاطمة، عدا إبراهيم فهو مِن مَارية.

(١) الفصول في السيرة ص٩٤.

(٢) سيأتي الحديث عن أولاده إن شاء الله تعالىٰ.

تحكيمهم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في وضع الحجر الأسْوَد

وَفِي بِنَاءِ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةْ ... شَارَكَ حَمْلًا ثُمَّ رَبِّيْ شَرَّفَهْ

بِالصُّلْحِ بَيْنَ القَوْمِ حِينَ اخْتَصَمُوا ... مَنْ يَضَعُ الحَجَرَ وَبِهِ رَضُوا

وفي هذين البيتين يبيِّن النَّاظم أمران، هما:

الأمر الأوَّل: مشاركة النَّبيُّ ﷺ مع أعمامه في تجديد بناء الكعبة، ونقل الحجارة، وكان عُمره إذ ذاك خمسًا وثلاثين سنة؛ وذلك لأنَّ الكعبة تعرَّضت لسيلٍ عَرِم، فصدَّعت جدرانها، وأوشكت منه على الانهيار.

وقد جاء ذلك في الصَّحيحين عَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلَانِ الحِجَارَةَ، فَقَالَ العَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ، فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «أَرِنِي إِزَارِي» فَشَدَّهُ عَلَيْهِ"(١).

الأمر الثَّاني: تحكيمُ القبائل مِن قريش للنَّبيِّ ﷺ فيمن يضع الحَجَرَ الأسود في موضعه؟ حيث أنَّ كلَّ قبيلة تريد أن تحظى بهذا الشَّرف العظيم؛ ولهذا اختصموا واختلفوا اختلافًا شديدًا في ذلك، فحكَّموه ورضُوا بحكمه.

---

(١) رواه البخاري ح١٥٨٢، ومسلم ح٣٤٠.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ثمَّ إنَّ القبائل مِن قريش جمعت الحجارة لبنائها، كلُّ قبيلةٍ تجمع على حِدَة، ثمَّ بَنَوْهَا، حتى بلغ البنيان موضع الرُّكن، فاختصموا فيه، كلُّ قبيلةٍ تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوزوا[1] وتحالفوا، وأعدُّوا للقتال، فقرَّبت بنو عبد الدَّار جفنةً مملوءة دمًا، ثمَّ تعاقدوا هم وبنو عَدِي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدَّم في تلك الجَفنة، فسُمُّوا "لَعَقَةَ الدَّم"، فمكثت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمسًا، ثمَّ إنَّهم اجتمعوا في المسجد، وتشاوروا وتناصفوا.

فزعم بعض أهل الرِّواية: أنَّ أبا أميَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان عامئذٍ أَسنَّ قريشٍ كلِّها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوَّلَ مَن يدخُل مِن باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا، فكان أوَّلَ داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلمَّا رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد، فلمَّا انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال ﷺ: هَلُمَّ إليَّ ثوبًا، فأُتِيَ به، فأخذ الرُّكن فوضعه فيه بيده، ثم قال: لِتَأْخُذ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ مِنَ الثَّوب، ثمَّ ارفعوه جميعًا، ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثمَّ بُنِيَ عليه"[2].

---

(١) انحازت كل قَبيلَة إِلَىٰ جِهَة.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، (١/ ١٩٦).

بدء الوحي ونزول جبريل عليه السلام

ثُـمَّ أَتَـى جِـبْـرِيـلُ فِـي غَـارِ حِـرَا ... وَنُـبِّـئَ الـمُـخْـتَـارُ "اِقْـرَأْ" فَـقَـرَا
وَأُرْسِـــلَ الـنَّـبِـيُّ بِـالـمُـدَّثِـرْ ... وَجَـاءَ فِـي الآيَـاتِ "قُـمْ فَـأَنْـذِرْ"

وقبل أن ينزل الوحي على النَّبيِّ ﷺ، فإنَّ أوَّل مَا بدأ به مِنَ الوحي: الرُّؤيا الصَّادقة في النَّوم، وكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت مثل فَلَقِ الصُّبح. ثمَّ حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه - وهو التَّعبُد - اللَّيالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوَّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها.

(ثُمَّ أَتَى جِبْرِيلُ فِي غَارِ حِرَا): أي جاءه جبريل عليه السلام بغتةً لأوَّل مرَّة داخل غار حراء، وذلك بعد أن أكمل الأربعين سنةً بُعِثَ النَّبيِّ ﷺ رحمةً للعالمين، كما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ"[1]، وكان ذلك يوم الاثنين بلا خلاف مِن شهر رمضان على المشهور، وفي الحديث عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ

(١) رواه البخاري ح٣٩٠٢.

اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ؟ قَالَ: "ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ"(١).

(وَنُبِّئَ المُخْتَارُ "اِقْرَأْ" فَقَرَا): أي: خُبِّر، والمراد صار نبيًّا بذلك؛ لأنَّ أصل النُّبوَّة مأخوذٌ مِنَ النَّبأ وهو الخبر، وقوله: "اِقْرَأْ" يعني: قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾(٢) وهذا نَزَلَ عليه يوم الاثنين في رمضان وهو في غار حراء.

وهنا يُشير النَّاظم إلى حديث عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ"، قَالَ: "فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾(٣)" فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ

---

(١) رواه مسلم ح١١٦٢.

(٢) سورة العلق: ١.

(٣) سورة العلق: ١-٣

لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ"(١).

(وَأُرْسِلَ النَّبِيُّ بِالمُدَّثِرْ): أي: بُعِثَ؛ لأنَّ الإرسال معناه البعث والتَّوجيه، وقوله: "وَأُرْسِلَ" أي: صار رسولًا بنزول صَدْرِ السُّورة الذي أُمِرَ فيه بالإنذار، وذلك بعد أن فَتَرَ الوحي عن رسول الله ﷺ بعد أوَّل مرَّة رأى جبريل عليه السلام فيها، مدَّةً يسيرة، قال ابن حجر رحمه الله مبيِّنًا سبب ذلك: "وفتور الوحي عبارة عن تأخُّره مُدَّةً مِنَ الزَّمان؛ وكان ذلك لِيَذْهَبَ مَا كان ﷺ وَجَدَهُ مِنَ الرَّوْعِ، وليحصل له التَّشَوُّفُ إلى الْعَوْدِ"(٢)، وفي الحديث عَنْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الوَحْيُ فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجُئِثْتُ مِنْهُ، حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، فَجِئْتُ

(١) رواه البخاري ح٣، ومسلم ح١٦٠.

(٢) فتح الباري (١/ ٢٧).

أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[1] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[2]"[3].

وفي قوله: (وَنُبِّئَ المُخْتَارُ "اِقْرَأْ" فَقَرَا، وَأُرْسِلَ النَّبِيُّ بِالمُدَّثِرْ): إشارة على أنَّ هناك فرقًا بين النَّبيِّ والرَّسول كما يقول أهل العلم: وهو أنَّ النَّبيَّ مَن أُوحيَ إليه بشرعٍ ولم يُؤمر بتبليغه، والرَّسول مَن أوحى الله تعالى إليه بشرعٍ وأُمر بتبليغه والعمل به، فكلُّ رسولٍ نبي، وليس كلُّ نبي رسولًا.

(١) سورة المدثر: ١-٢.

(٢) سورة المدثر: ٥.

(٣) رواه البخاري ح٣٢٣٨.

الدَّعوة السِّرِّيَّة

فَـأَخَـذَ الـنَّـبِـيُّ يَـدْعُـو قَـوْمَـهُ ... مُـبْـتَـدِئًـا أُسْـرَتَـهُ وَأَهْـلَـهُ
فَـآمَـنَـتْ خَـدِيـجَـةُ الـكُـبْـرَى بِـهِ ... زَيْـدٌ عَـلِـيٌّ وَأَبُـو بَـكْـرِ الـبَـهِـي
وَأَخَـذَ الإِسْـلَامُ فِـيْـهِـمْ يَـنْـتَـشِـرْ ... لِلْـخُـلُـقِ العَـظِـيـمِ فِـي خَـيـرِ البَشَـرْ

(فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَدْعُو قَوْمَهُ): وذلك بعد نزول آيات المدَّثِّر، بدأ النَّبيُّ ﷺ يدعو إلى الله تعالى وإلى الإسلام سِرًّا في السَّنوات الثَّلاث الأولى، وممَّا يدلُّ على أنَّ الدَّعوة أوَّل مَا بدأت كانت سِرِّيَّة، مَا رواه الإمام مُسلم في صحيحه أنَّ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: "أَنَا نَبِيٌّ"، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: "أَرْسَلَنِي اللهُ"، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: "أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ"، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: "حُرٌّ، وَعَبْدٌ"، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ،

قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي" ... الحديث[1].

(مُبْتَدِئًا أُسْرَتَهُ وَأَهْلَهُ): أي: بدأ النَّبيُّ ﷺ يعرض الإسلام على ألصق النَّاس به وآل بيته، وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كلُّ مَن توسَّم فيه خيرًا مِمَّن يعرفهم بحبِّ الله والحقِّ والخير، ويعرفونه بتحرِّي الصِّدق والصَّلاح، فأجابه مِن هؤلاء الذين لم تخالجهم رِيبةً قط في عظمة الرَّسول ﷺ وجلالة نفسه وصدق خبره جَمْعٌ عُرِفُوا في التَّاريخ الإسلامي بالسَّابقين الأوَّلين[2].

(فَآمَنَتْ خَدِيجَةُ الكُبْرَى بِهِ) وهي أوَّل مَن آمنت وصدَّقت على الإطلاق، قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "خديجة أوَّل خَلْقِ الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدَّمها رجل ولا امرأة"[3].

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كانت أوَّل مَن آمن بالله وبرسوله، وصدَّق بمَا جاء منه، فخفَّف الله بذلك عن نبيه ﷺ، لا يسمع شيئًا ممَّا يكرهه مِنْ رَدٍّ عليه

---

(١) رواه مسلم ح٨٣٢.

(٢) الرَّحيق المختوم ص٦٥.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ، (٧/ ٨٠).

وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلَّا فرَّج الله عنه بها إذا رَجَعَ إليها، تُثبِّته وتُخفِّف عليه، وتُصدِّقه وتُهوِّن عليه أَمرَ النَّاس، رحمها الله تعالى"[1].

ووصف النَّاظم لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأنَّها كُبرى؛ وذلك لأنَّها أم المؤمنين الكُبرى وسيِّدة نساء العالمين، ولم يثبت أنَّ النَّبيَّ ﷺ أو أحدًا مِنَ المسلمين الأوائل لقَّبها بخديجة الكبرى.

(زَيْدٌ): هو زيد بن حارثة بن شرحبيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحِبُّ رسول الله ﷺ، وهو أوَّل مَن أسلم مِنَ الموالي، كان لخديجة أولًا، فوهبته إلى رسول الله ﷺ قبل النُّبوَّة، فتبنَّاه، فكان يقال له: زيد بن محمَّد، ولم يزل كذلك حتى أنـزل الله: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2]، وهاجر وشهد بدرًا ومَا بعدها، إلى أن بعثه رسول الله ﷺ عام ثمان للهجرة أميرًا على جيش مؤتة، فلقُوا الرُّوم هنالك في جَمْعٍ عظيم في معركة مؤتة، فقُتِل هنالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمره خمس وخمسون سنة.

(عَلِيٌّ): هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ابن عمِّ النَّبي ﷺ، وهو أوَّل مَن

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٠).

(٢) سورة الأحزاب: ٥.

أسلم مِنَ الصِّبيان، وُلِدَ قبل البعثة بعشر سنين على الصَّحيح، ولم يبلغ الحُلُم حين أسلم، ولم يعبد الأوثان قط لصغره، رُبِّيَ في حِجْرِ النَّبي ﷺ ولم يفارقه، وَشَهِدَ معه المشاهد كُلَّها إلَّا غزوة تبوك، وزوَّجه ابنته فاطمة، مناقبه وفضائله كثيرة، قُتِلَ في صبيحة يوم الجمعة، في السَّابع عشر مِن رمضان، سنة أربعين مِنَ الهجرة.

(وَأَبُو بَكْرِ): هو عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التَّيمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صدِّيقُ هذ الأُمَّة، وخليفة رسول الله ﷺ، وهو أوَّل مَن أسلم مِنَ الرِّجال، وُلِدَ بعد الفيل بسنتين وأشهر، صَحِبَ النَّبيَّ ﷺ قبل البعثة، وَسَبَقَ إلى الإيمان، واستمرَّ معه طول إقامته بمكَّة، ورافقه في الهجرة، وفي الغار، وفي المشاهد كُلِّها إلى أن مات، وهو أفضل هذه الأُمَّة بعد نبيها ﷺ، توفِّي يوم الاثنين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة مِنَ الهجرة، وهو ابن ثلاث وستِّين سنة.

(وَأَخَذَ الإِسْلَامُ فِيْهِمْ يَنْتَشِرْ ** لِلْخُلُقِ العَظِيمِ فِي خَيرِ البَشَرْ): وهنا يذكر النَّاظم: أنَّ مِن أسباب انتشار دعوة النَّبيِّ ﷺ أخلاقه التَّطبيقيَّة التي كان يتعامل بها مع الخَلْق، وفي وصف عَائشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "إِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ"(١)، وكان معروفًا حتَّى قبل بعثته بذلك؛ كما أخبرت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(١) رواه مسلم ح٧٤٦.

عن النَّبيِّ ﷺ بعد لقائه الأوَّل مع جبريل عليه السلام حين قال لها النَّبيُّ ﷺ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ"(١)، فإنَّ أثر أخلاقه ﷺ مِن عفوهِ ورحمتهِ وتواضعهِ وكرمهِ وجودهِ وشجاعتهِ وغيرها واضحةٌ في نجاح دعوته، والمواقف في ذلك كثيرة.

(١) رواه البخاري ح٣، ومسلم ح١٦٠.

الدَّعوة الجهريَّة

وَجَـهَـرَ الـرَّسُـولُ بِـالإِسْـلَامِ ... عَلَى الصَّـفَـا فِي ثَـالِـثِ الأَعْوَامِ
فَـقَـالَ: "تَـبًّـا" عَـمُّـهُ أَبُـو لَـهَـبْ ... فَـأُنْزِلَـتْ "تَبَّتْ" عَلَيْـهِ بِـاللَّهَـبْ
وَكَـانَـتِ الآيَـاتُ فِـي الـقُـرْآنِ ... تَـنْـزِلُ بِـالـتَّـوْحِـيـدِ وَالإِيْـمَـانِ

(وَجَهَرَ الرَّسُولُ بِالإِسْلَامِ ...): في هذه الأبيات يُشير النَّاظم إلى بدء الدَّعوة الجهريَّة وذلك بعد ثلاث سنين مِنَ البعثة على القول الرَّاجح، وفي مطلع العام الرَّابع مِنَ البعثة نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2]، وعندئذ بدأت الدَّعوة الجهريَّة، قال ابن القيِّم: "وأقام ﷺ بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله سبحانه مُستخفيًا، ثمَّ نزل عليه: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3]، فأعلن ﷺ بالدَّعوة، وجاهرَ قومه بالعداوة، واشتدَّ الأذى عليه وعلى المسلمين حتَّى أَذِنَ الله لهم بالهجرتَيْن"[4].

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٢) سورة الحجر: ٩٤.

(٣) سورة الحجر: ٩٤.

(٤) زاد المعاد (١/ ٨٤).

(عَلَى الصَّفَا ... فَأُنْزِلَتْ "تَبَّتْ" عَلَيْهِ بِاللَّهَبْ): وذلك بعد مَا تأكَّد النَّبيُّ ﷺ مِن تعهُّد أبي طالب بحمايته، وهو يبلِّغ عن ربِّه، قام يومًا على الصَّفا فصرخ: "يا صباحاه"، فاجتمع إليه بطون قريش، فدعاهم إلى التَّوحيد والإيمان برسالته وباليوم الآخر، كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: "يَا صَبَاحَاهْ"، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، قَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟" قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1]"[2].

(وَكَانَتِ الآيَاتُ فِي القُرْآنِ .. تَنْزِلُ بِالتَّوْحِيدِ وَالإِيْمَانِ): وكانت الآيات في أثناء دعوة النَّبيِّ ﷺ تنزِلُ بالدَّعوة إلى توحيد الإله الذي أنكره المشركون، والتَّحذير مِنَ الشِّرك، وإبطال عبادة الأولياء بدعوى تقرُّبهم بها إلى الله، وطلب شفاعتهم عند الله تعالى، وغير ذلك.

(١) سورة المسد: ١.

(٢) رواه البخاري ح٤٨٠١.

الأذى الذي لَحِقَ بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في مكة

وَأُوذِيَ الـرَّسُــولُ وَالصَّــحَـابَـةْ فَصَــبَرُوا وَاحْـتَـمَـلُـوا الإِصَــابَـةْ

وذلك بعد أن جَهَر النَّبيُّ ﷺ بالدَّعوة إلى التَّوحيد ونبذ الشِّرك، اشتدَّ أذى قريش عليه وعلى أصحابه، بالاتِّهام الباطل، والتَّكذيب السَّافر والسُّخرية، وتصاعد إلى ذروة العنف، وخاصَّةً في معاملة المستضعفين مِنَ المسلمين، فنكَّلت بهم لتفتنهم عن دينهم، ولتجعلهم عبرة لسواهم، ولتنفِّس عن غضبها بما تصبُّه عليهم مِنَ العذاب.

(وَأُوذِيَ الرَّسُولُ): حيث أنَّ النَّبيَّ ﷺ نال منه المشركون مَا لم ينالوه مِن كثيرٍ مِنَ المؤمنين، فاتَّهموه بالجنون، والسِّحر، والكذب، والكهانة، وحاولوا قتله، ولكن الله تعالى حماه منهم، وردَّ كيدهم في نحورهم.

وكان مِن أشدِّ النَّاس أذيَّة لرسول الله ﷺ مِن قادة الكفر: كالوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأبي جهل، وأبي لهب، والنَّضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، وأُبيِّ بن خلف، وأُميَّة بن خلف وغيرهم.

والأمثلة على ذلك كثيرة، ومِن أشدِّ مَا صنع المشركون بالنَّبيِّ ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ:

أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ المُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: "بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[1]"[2].

(وَأُوذِيَ ... الصَّحَابَةْ): وهم كثير مِن أمثال: عمَّار بن ياسر وأهل بيته، وبلال، وخباب بن الأرت، وصهيب الرُّومي وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: "عن سعيد بن جبير، قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يَبْلُغُونَ مِن أصحاب رسول الله ﷺ مِنَ العذاب مَا يُعْذَرُونَ بِهِ فِي ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ وَيُجِيعُونَهُ وَيُعَطِّشُونَهُ حتَّى مَا يَقْدِرُ أن يَستوي جالسًا مِن شِدَّة الضُّرِّ الذي نزل به، حتَّى يُعْطِيَهُمْ مَا سألوه مِنَ الفتنة، حتى يقولوا له، اللَّات والعُزَّى إلهك مِن دون الله؟

---

(١) سورة غافر: ٢٨.

(٢) رواه البخاري ح٤٨١٥.

فيقول: نعم، حتى إنَّ الْجُعَلَ لَيَمُرُّ بهم، فيقولون له: أهذا الْجُعَلُ إلَهُكَ مِن دون الله؟ فيقول: نعم، افتداءً منهم ممَّا يَبلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِ"(١).

وقد طالَ العذاب على المسلمين حتَّى ذهب خبَّاب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله ﷺ يستنجد به مِن هذا العذاب، فيضرب لهم الرَّسول ﷺ الأمثال، ويعِظُهم ويذكِّرهم، فيرجعون راضين مطمئنين صابرين على البلاء. حيث روى الإمام البخاري في صحيحه عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"(٢).

(فَصَبَرُوا وَاحْتَمَلُوا الإِصَابَةْ): أي أنَّ النَّبيَّ ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يحتملون الأذى ويصبرون على ذلك، كما في صحيح البخاري عن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٠).

(٢) رواه البخاري ح٣٦١٢.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الكِتَابِ، كَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾[1] الآيَةَ، وَقَالَ اللهُ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[2] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّلُ العَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، حَتَّى أَذِنَ اللهُ فِيهِمْ"[3].

(١) سورة آل عمران: ١٨٦.

(٢) سورة البقرة: ١٠٩.

(٣) رواه البخاري ح٤٥٦٦.

الهجرة إلى الحبشة

وَهَـاجَـرُوا لِـلْـحَـبَشَـةِ سِـرًّا مُـؤَمِّـلِـينَ فِي الـنَّـجَـاشِـي خَـيْـرًا

(وَهَاجَرُوا لِلْحَبَشَةِ سِرًّا): يذكر النَّاظم أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَذِنَ للمستضعفين بالهجرة إلى الحبشة؛ وذلك بعد أن اشتدَّ أذى قريش لهم، فهاجروا في الخفاء حتى لا تستيقظ قريش للأمر فتُحبطه.

وقد ثَبَتَ أن المسلمين هاجروا إلى الحبشة مرَّتين، حيث كانت الهجرة الأولى في شهر رجب مِنَ السَّنة الخامسة مِنَ البعثة، وكانوا اثني عشر رجلًا وأربع نسوة، ثمَّ بَلَغَ المسلمين وهم بأرض الحبشة أنَّ أهل مكَّة أسلموا، فرجعوا إلى مكَّة فوجدوا الأمر غير صحيح، فهاجروا الهجرة الثَّانية وانضمَّ إليهم جماعة أخرى مِنَ المسلمين حتَّى بلغوا ثلاثة وثمانين رجلًا وثماني عشرة امرأة.

(مُؤَمِّلِينَ فِي النَّجَاشِي خَيْرًا): وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد عَلِمَ أنَّ النَّجاشي مَلكُ الحبشة مَلِكٌ عادل، لا يُظلم عنده أحد أبدًا، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد رأى مَا ينزل بهم مِنَ البلاء، ومَا يصيبهم مِنَ القهر والأذى، وهو لا يقدر على أن يمنعهم ممَّا هم فيه، قال لهم: "إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ"، قالت

أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: "فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالًا حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِهَا فَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ وَإِلَى خَيْرِ جَارٍ، آمَنَّا عَلَى دِينِنَا، وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا"(١).

والنَّجاشي لقب لِمَن مَلَكَ الحبشة، واسمه (أصحمة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان عبدًا صالحًا لبيبًا ذكيًّا، وكان عادلًا عالِمًا.

قال الذَّهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "النَّجاشي مَلك الحبشة، واسمه: أصحمة، ملك الحبشة، معدودٌ في الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان ممَّن حَسُنَ إسلامه، ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعيٌّ مِن وجه، صاحب مِن وجه، وقد توفي في حياة النَّبيِّ ﷺ، فصلَّى عليه بالنَّاس صلاة الغائب ولم يثبت أنَّه صلَّى ﷺ على غائبٍ سواه"(٢)، وفي الحديث عَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "قَدْ تُوُفِّيَ اليَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الحَبَشِ، فَهَلُمَّ، فَصَلُّوا عَلَيْهِ"، قَالَ: فَصَفَفْنَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَهُ صُفُوفٌ"(٣).

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨، (٢/ ٣٠١)؛ وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣١٩٠) وجوَّد إسناده.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: مجموعة مِن المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرِّسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ، (١/ ٤٢٨).

(٣) رواه البخاري ح١٣٢٠.

إسلام حمزة وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وَأَسْــلَمَ الحَمْزَةُ عَمُّ المُصْــطَفَى وَعُـمَـرُ الـفَـارُوقُ عُـنْـوانُ الصَّــفَـا

(وَأَسْلَمَ الحَمْزَةُ): هُو حمزة بن عبد المطَّلب بن هاشم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القُرشي الهاشمي المكِّي ثمَّ المدني البدري، سيِّد الشُّهداء، عمُّ النَّبِيِّ ﷺ وأخوه مِنَ الرَّضاعة، أرضعتهما ثويبة، وُلِدَ قبل النَّبي ﷺ بسنتين، وقيل: أربع، كان يُقال له: أَسَدُ الله وأَسَدُ رسوله، يكنى أبا عمارة وأبا يعلى أيضًا، كان مِن فرسان قريش وسادتها وصناديدها المعدودين، أَسلَمَ في أواخر السَّنة السَّادسة مِنَ البعثة، وهاجر إلى المدينة واستُشهد في معركة أُحُدٍ في النِّصف مِن شوال مِنَ السَّنة الثَّالثة للهجرة.

وأمَّا عن قصَّة إسلامه: فقد مَرَّ أبو جهل برسول الله ﷺ عند الصَّفا، فآذاه ونالَ منه، ورسول الله ﷺ ساكت، فقام رسول الله ﷺ ودخل المسجد، وكانت مولاة لعبدِ الله بن جعدان في مسكنٍ لها على الصَّفا، تسمعُ مَا يقول أبو جهل، وأقبل حمزة مِنَ القَنص متوشِّحًا قوسه، وكان يسمَّى: أَعَزَّ قريش. فأخبرته مولاة ابن جدعان بما سمعت مِن أبي جهل، فغضب ودخل المسجد - وأبو جهل

جالس في نادي قومه – فقال له حمزة: يا مُصَفِّرَ استِهِ[1]، تشتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بالقوس فشَجَّه مُوضِحة. فثار رجال مِن بني مخزوم، وثار بنو هاشم، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإنِّي سببت ابن أخيه سَبًّا قبيحًا، فعلمت قريش أن رسول الله ﷺ قد عَزَّ، فكفّوا عنه بعض مَا كانوا ينالون منه[2].

(وَعُمَرُ الفَارُوقُ): هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثاني الخلفاء الرَّاشدين وأَحَد المبشرين بالجنَّة، أمير المؤمنين، وأفضل الصَّحابة بعد أبي الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَسلَم في السَّادسة مِنَ البعثة، وقويَ جانب المسلمين بإسلامه، وهو أوَّل مَن وَضَعَ للعرب التَّاريخ الهجري، ولُقِّبَ بالفاروق الذي فرَّق الله تعالى به بين الحقِّ والباطل، وهو الذي ضرب الله الحقَّ على لسانه وقلبه، وقد شَهِدَ بدرًا وأُحدًا والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، ولم يغب عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ، طعنه أبو لؤلؤة المجوسي بخنجر مسموم

---

(١) اسْتُهُ: أي مقعَدَتُه. وجاء في اللِّسان (٤/ ٤٦٠): "وهذه الكلمة يا مصفِّرَ استِهِ: تُقال للمُتَنَعِّم المُتْرف الذي لم تُحنِّكه التَّجارب والشَّدائد.

(٢) نقلًا عن: مختصر سيرة الرَّسول صلىٰ الله عليه وسلم، للإمام محمد بن عبد الوهاب، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨، ص٩٣.

وهو يصلي بالنَّاس الفجر، وعاش بعدها ثلاث ليالٍ، ثمَّ مات سنة ثلاث وعشرين مِنَ الهجرة.

وأمَّا عن قصَّة إسلامه: فقد قال الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّه قال لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "لِمَ سُمِّيتَ الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، ثمَّ شَرَحَ الله صدري للإسلام، وأوَّل شيءٍ سمعته مِنَ القرآن وَوَقَر في صدري: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1]، فما في الأرض نسمة أحبّ إليَّ مِن نسمةِ رسول الله ﷺ. فسألتُ عنه؟ فقيل لي: هو في دار الأرقم، فأتيتُ الدَّار - وحمزة في أصحابه جلوسًا في الدَّار، ورسول الله ﷺ في البيت - فضربتُ الباب، فاستجمع القوم. فقال لهم حمزة: مَا لكم؟ فقالوا: عمر، فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابي، ثمَّ نَتَرني نَترةً لم أتمالك أن وقعتُ على ركبتيَّ. فقال: مَا أنت بمنتهٍ يا عمر؟ فقلت: أشهدُ أن لا إله إلَّا الله وأنَّك رسول الله، فكبَّر أهل الدَّار تكبيرةً سَمِعَهَا أهل المسجد. فقلت: يا رسول الله، ألسنا على الحقِّ، إن متنا أو حيينا؟ قال: بلى. فقلت: فَفِيمَ الاختفاء؟ والذي بَعَثَكَ بالحقِّ لتخرجنَّ، فخرجنا في صفَّين، حمزة في صفٍّ، وأنا في صفٍّ - له كديدٌ

(١) سورة طه: ٨.

ككديد الطَّحن - حتَّى دخلنا المسجد، فلما نَظَرتْ إلينا قريش أصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قط. فسمَّاني رسول الله ﷺ الفاروق"[1].

(١) مختصر سيرة الرَّسول صلىٰ الله عليه وسلم، ص٩٤.

حصار قريش للنَّبيِّ ﷺ وأصحابه في شعب أبي طالب

وَقَاطَعَتْ قُرَيْشُ المُسْلِمِينَا وَحُوصِرُوا فِي الشِّعْبِ مُرْغَمِينَا
وَكَتَبُوا ذَلِكَ فِي صَحِيفَةْ وَانْتُقِضَتْ بِثُلَّةٍ شَرِيفَةْ

(وَقَاطَعَتْ قُرَيْشُ ...): وفي هذين البيتين يُشيرُ شيخنا – حفظه الله – إلى حصارِ قريشٍ للنَّبيِّ ﷺ وأصحابه في شِعب أبي طالب، وكان ذلك الحصار في ليلة هلال المحرم سنة سبع مِنَ البعثة، واستمرَّ نحو ثلاث سنوات، وجدوا فيها مِنَ الشِّدَّة والضِّيق، وأكلوا ورق الشَّجر مِنَ الجوع، حتَّى سلَّط الله تعالى على صحيفة قريش الأرضة فأكلتها، وسعى بعضهم لفكِّ هذا الحصار، وخرج النَّبيُّ ﷺ وأصحابه أكثر صبرًا، وأقوى عزيمة على نشر هذه العقيدة والجهاد في سبيلها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فلمَّا رأت قريش أَمرَ رسول الله ﷺ يعلو والأمور تتزايد، أجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطَّلب وبني عبد مناف، أن لا يُبايعوهم، ولا يُناكحوهم، ولا يُكلموهم، ولا يُجالسوهم، حتى يُسلِّموا إليهم رسول الله ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة، وعلَّقوها في سَقفِ الكعبة ... فانحازَ

بنو هاشم وبنو المطَّلب مؤمنهم وكافرهم إلَّا أبا لهب، فإنَّه ظاهرَ قريشًا على رسول الله ﷺ وبني هاشم وبني المطَّلب، وَحُبِسَ رسول الله ﷺ ومَن معه في الشِّعب، شِعب أبي طالب ليلة هلال المحرَّم سنة سبع مِنَ البعثة، وعلَّقت الصَّحيفة في جوف الكعبة، وبقوا محبوسين ومحصورين مُضَيَّقًا عليهم جدًّا، مقطوعًا عنهم المِيرَة (الطَّعام) والمادة نحو ثلاث سنين، حتَّى بلغهم الجَهد، وسُمِعَ أصوات صبيانهم بالبكاء مِن وراء الشِّعب"[1].

(وَانْتُقِضَتْ بِثُلَّةٍ شَرِيفَةْ): يذكر أهل السِّيَر أنَّ الحميَّة والرأفة أخذت نفرًا مِن رجال قريشٍ فتعاهدوا على نقض هذه الصَّحيفة الظَّالمة، وسَعَوا في ذلك حتى نُقِضت، وهم: هشام بن عمرو بن الحارث، وزهير بن أبي أميَّة، وأبو البختريّ بن هشام، والمطعم بن عديّ، وزمعة بن الأسود.

(١) زاد المعاد، (٣/ ٢٧).

وفاة عمّه أبي طالب وزوجه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَبَعْدُ مَاتَ عَمُّهُ فِي العَاشِرَةْ ... وَلَحِقَتْ خَدِيجَةٌ لِلْآخِرَةْ

وَحَزِنَ النَّبِيُّ وَالصَّحَابَةْ ... لِمَوْتِ هَذَيْنِ وَلَا غَرَابَةْ

وبعد انتهاء ذلك الحصار الشَّديد على النَّبيِّ ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومَن نَاصَرهُ مِن قومهِ، توفِّي عمُّ النَّبيِّ ﷺ أبو طالب الذي كان يحميه مِمَّن يؤذيه، وتوفِّيت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي كانت تهوِّن عليه همومه، وذلك في عامٍ واحدٍ، وهو العام العاشر مِنَ البعثة، وهذا ممَّا لا خلاف فيه بين أهل السِّير، ولكن اختلفوا في الأسبق والمدَّة التي بين وفاتَيْهما، والمشهور أنَّ خديجة توفِّيت بعد موتِ أبي طالب بثلاثة أيام، وقد حَزُنَ النَّبيُّ[1] ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على وفاتهما؛ لِمَا كانا عليه بمثابة الحِصن المنيع، والمؤنس الأوَّل مِمَّا يلاقونه مِن أذى قريشٍ لهم.

---

(١) عُرِفَ العام العاشر مِنَ البعثة عند المتأخرين بعام الحُزن، ولم تَرِد هذه التَّسمية في شيءٍ مِنَ الأحاديث الصَّحيحة، ولا الضَّعيفة، وقد قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ مُعقِّبًا علىٰ مَن يقول بأنَّ النَّبيَّ ﷺ سمَّاه بعام الحُزن: "بعد مزيدِ البحث لم أقف عليه ... المصدر الوحيد الذي رأيته قد أورده إنما هو القَسطَلاّني في (المواهب اللدنية) فلم يزد علىٰ قوله: (فيما ذكره صاعد) وصاعد هذا هو ابن عبيد البجلي كما قال الزَّرقاني في شرحه عليه، فما حال صاعد هذا؟ إنَّه مجهولٌ لا يُعرف، ولم يوثِّقه أحد، بل أشار الحافظ – ابن حجر – إلىٰ أنَّه ليِّن الحديث إذا لم يتابع، كما هو حاله في هذا الخبر. علىٰ أنَّ قول القسطلاني: (فيما ذكره صاعد) =

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فصلٌ في وفاة أبي طالب عمِّ رسول الله ﷺ ثمَّ مِن بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وقيل: بل هي توفيت قبله، والمشهور الأوَّل. وهذان المُشْفِقَان؛ هذا في الظَّاهر (أي: أبو طالب)، وهذه في الباطن، هذا كافرٌ، وهذه مؤمنةٌ صِدِّيقةٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ثمَّ إنَّ خديجة وأبا طالب هلكَا في عامٍ واحدٍ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائبُ بِهُلْكِ خديجة؛ وكانت له وزيرَ صِدْقٍ على الابتلاء يسكُن إليها، وَبِهُلْكِ عمِّه أبي طالب؛ وكان له عَضُدًا وَحِرْزًا في أمره، ومنعةً وناصرًا على قومه، وذلك قبل مُهَاجَره إلى المدينة بثلاث سنين، فلمَّا هَلَكَ أبو طالب، نالت قريشٌ مِن رسول الله ﷺ مِنَ الأذى مَا لم تكن تطمَعُ به في حياة أبي طالب"[1].

= يُشعر أنَّه ذكره معلَّقًا بدون إسناد فيكون معضلًا، فيكون الخبر ضعيفًا لا يصح، حتىٰ ولو كان صاعد معروفًا بالثِّقة والحفظ، وهيهات هيهات" ينظر: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، للألباني، مؤسسة ومكتبة الخافقين، ص١٨.

ولكن يمكن القول: أنَّه بسبب توالي هذه الآلام في هذا العام سُمِّيَ بعام الحزن، وعُرِفَ به في السِّيرة والتَّاريخ، وليس كما يقول البعض: أنَّ النَّبيَّ ﷺ هو الذي سمَّاه بذلك.

(١) البداية والنهاية، (٣/ ١٥١).

حادثة الإسراء والمعراج[1]

وَبَعْدُ أَسْرَى اللهُ بِالرَّسُولِ ... لِلْمَسْجِدِ الأَقْصَى بِبَعْضِ اللَّيلِ
وَمِنْهُ مِعْرَاجُ السَّمَا تَكْرِيمَا ... وَفَرَضَ الخَمْسَ بِهَا تَعْظِيمَا

(وَبَعْدُ أَسْرَى): قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فلمَّا أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أُسرِيَ به"[2]. وقد وردت قصَّة الإسراء والمعراج بطولها في الصَّحيحين[3] مِن حديث أنس عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(أَسْرَى اللهُ بِالرَّسُولِ): الإسراء هو: سَيْرُ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالنَّبيِّ ﷺ مِن مكَّة إلى بيت المقدس، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4].

---

(١) قلت: كان الأولىٰ أن يقدِّم شيخنا – حفظه الله – خروج النَّبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلىٰ الطَّائف علىٰ الإسراء والمعراج؛ لأنَّ خروجه إلىٰ الطَّائف كان في السنة العاشرة مِنَ البعثة، بينما كان الإسراء والمعراج في السنة الثانية عشرة مِنَ البعثة.

(٢) صفة الصفوة، لابن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ط ١٤٢١هـ، (١/ ٤٤).

(٣) البخاري ح ٣٣٤٢؛ ومسلم ح ٢٦٣.

(٤) سورة الإسراء: ١.

(مِعْرَاجُ السَّمَا): المعراج هو: السُّلَّم الذي عُرِجَ به رسول الله ﷺ مِنَ الأرض إلى السَّماء، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾[1].

(تَكْرِيما): أي وكانت رحلة الإسراء والمعراج تكريمًا لرسول الله ﷺ، أراد الله تعالى أن يسلِّيه، ويسري عنه، ويطيب خاطره، ويخفِّف عنه مَا أصابه مِنَ الهموم، لا سيَّما بعد الحصار الظَّالم الذي استمرَّ ثلاث سنوات في شِعب أبي طالب، وبعد وفاة النَّاصر الحميم أبي طالب، والزَّوجة الوفيَّة الأمينة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبعد رحلة الطَّائف الأليمة، فكانت هذه الرِّحلة تثبيتًا لقلبه، ومواساةً له.

(وَفَرَضَ الخَمْسَ بِهَا تَعْظِيمَا): أي أنَّ الصَّلاة فُرِضت في السَّماء السَّابعة في تلك الرِّحلة، وفرضها الله تعالى على رسوله ﷺ مباشرةً مِن غير واسطة مَلك،

(١) سورة النَّجم: ١-١٨.

وهذا يدلُّ على عَظِم شأنها وأهمِّيها، فهي الرُّكن الثَّاني مِن أركان الإسلام، وقد فرضها الله على عباده خمسين صلاة، ثمَّ إنَّ الله خفَّف ذلك، ولم يزل نبيُّنا ﷺ يُراجعُ ربَّه ويسأله التَّخفيف حتى جعلها خَمْسًا في اليوم واللَّيلة فضلًا منه وإحسانًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأُسرِيَ برسول الله ﷺ بجسده على الصَّحيح مِن قولي الصَّحابة والعلماء، مِنَ المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبًا البُراق في صُحبةِ جبريل عليه السلام، فنزل ثَمَّ، وَأَمَّ بالأنبياء ببيت المقدس فصلَّى بهم، ثُمَّ عُرِجَ به تلك اللَّيلة مِن هناك إلى السَّماء الدُّنيا، ثمَّ لِلَّتي تليها، ثمَّ الثَّالثة، ثمَّ إلى التي تليها، ثمَّ الخامسة، ثمَّ التي تليها، ثمَّ السَّابعة، ورأى عندها جبريلَ على الصُّورة التي خلَقَه اللهُ عليها، وفرضَ اللهُ عليه الصَّلواتِ تلك اللَّيلة[1].

(١) الفصول في السيرة ص١٠٦.

رحلة الطائف

وَذَهَبَ النَّبِيُّ نَحْوَ الطَّائِفْ فَعَادَ وَهْوَ مُبْتَلىً وَخَائِفْ

وفي هذا البيت يبيِّن النَّاظم: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خَرَجَ إلى الطَّائف في السَّنة العاشرة مِنَ البعثة، داعيًا لهم، وباحثًا عن مَن ينصره، ويمنع قريش مِن التَّعرُّض له بالأذى؛ وذلك لأنَّ قريشًا نالت مِن رسول الله ﷺ مِنَ الأذى بعد وفاة عمِّه، كما قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولمَّا هَلَكَ أبو طالب نالت قريش مِن رسول الله ﷺ مِنَ الأذى مَا لم تكُن تنال منه في حياة عمِّه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطَّائف، يلتمس النُّصرةَ مِن ثقيف، والمَنعةَ بهم مِن قومه، ورجاءَ أن يقبلوا منه مَا جاءهم به مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ، فخرج إليهم وحده"[1]، فلمَّا وَصَلَ إليهم ودعاهم إلى الإسلام ردُّوه أقبح ردٍّ، وأغلظوا له القول، وحرَّشُوا عليه الصِّبيان والسُّفهاء، فآذوه ورموه بالحجارة حتى أدموا عَقِبَيْه، وقد سَأَلت عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا النَّبِيَّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤١٩).

بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"(١).

(١) رواه البخاري ح٣٢٣١؛ ومسلم ح١٧٩٥.

بيعتا العقبة الأولى والثَّانية

وَبَـايَـعَ الأَنْصَـــارَ فَـوْقَ الـعَـقَـبَـةْ كَـيْ يَـنْصُـــرُوهُ بِـالـدِّمَـا وَالـرَّقَـبَـةْ

وفي هذا البيت يُشير النَّاظم إلى بيعتي العقبة الأولى والثَّانية، حيث كانت البيعة الأولى مع اثني عَشَرَ رجلًا مِن أهل المدينة، عشرةٌ مِنَ الخزرج واثنان مِنَ الأوس، وبايعهم على الإسلام، وذلك في حجِّ السَّنة الثَّانية عشرة مِنَ البعثة، ثمَّ رجعوا إلى المدينة ومعهم مصعب بن عمير مُعلِّمًا وداعيًا، قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لمَّا أراد الله ﷻ إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لَقِيَهُ فيه النَّفر مِنَ الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كلِّ موسم. فبينما هو عند العقبة لَقِيَ رَهطًا مِنَ الخزرج أراد الله بهم خيرا ... فدعاهم إلى الله ﷻ، وَعَرَضَ عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن ... فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدَّقوه وَقَبِلُوا منه مَا عَرَضَ عليهم مِنَ الإسلام، وقالوا: إنَّا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم مِنَ العداوة والشَّرِّ مَا بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه مِن هذا الدِّين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رَجُلَ أعزَّ منك ... فلمَّا قَدِمُوا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام

حتى فَشَا فيهم، فلم تَبقَ دارٌ مِن دُورِ الأنصار إلَّا وفيها ذِكْرٌ مِن رسُول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل؛ وافى الموسمَ مِنَ الأنصار اثنا عشر رجلًا، فلقوه بالعَقبة - وهي العقبة الأولى -، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النِّساء(١)، وذلك قبل أن تُفتَرض عليهم الحرب"(٢).

وفي الحديث عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي مِنَ النُّقَبَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: "بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لاَ نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ نَسْرِقَ، وَلاَ نَزْنِيَ، وَلاَ نَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، وَلاَ نَنْتَهِبَ، وَلاَ نَعْصِيَ، بِالْجَنَّةِ، إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَإِنْ غَشِينَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، كَانَ قَضَاءُ ذَلِكَ إِلَى اللهِ"(٣).

ثمَّ عادوا مِنَ المدينة في موسم حجِّ السَّنة الثَّالثة عشرة، وهم سبعون رجلًا، وبايعوا النَّبيَّ ﷺ بيعة العقبة الثَّانية على نصرة الإسلام والدِّفاع عن النَّبيِّ ﷺ ولهم بذلك الجنَّة، فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، علَامَ نُبَايِعُكَ، قَالَ:

---

(١) المقصود أنَّهم بايعوه علىٰ بايع عليه النِّساءَ في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة الممتحنة: ١٢.

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٨)، باختصار.

(٣) رواه البخاري ح٣٨٩٣.

"تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ، لَا تَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ"، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ"[1].

(١) رواه أحمد ح١٤٤٥٤، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٦٣، وقال: وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط مسلم.

الهجرة إلى المدينة

وَجَاءَتِ الهِجْرةُ لِلْمَدِينَةْ فَهَاجَرَ الأَصْحَابُ فِي سَكِيْنَةْ
وَهَاجَرَ الرَّسُولُ وَالصِّدِّيقُ فَكَانَ نِعْمَ الصَّاحِبُ الرَّفِيقُ

(وَجَاءَتِ الهِجْرةُ لِلْمَدِينَةْ): أي وكانت هجرة النَّبيُّ ﷺ من مكَّة إلى المدينة مُستخفيًا مِن قريش، تحت حماية الله تعالى ورعايته، وذلك يوم الجمعة في السَّابع والعشرين مِن شهر صفر في السَّنة الثَّالثة عشرة مِنَ البعثة، ووصل المدينة يوم الاثنين في الثَّاني عشر مِن شهر ربيع الأوَّل، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد كانت هجرته عليه السَّلام في شهر ربيع الأوَّل، سنة ثلاث عشرة مِن بعثته عليه السَّلام، وذلك في يوم الاثنين"(١).

(فَهَاجَرَ الأَصْحَابُ فِي سَكِيْنَةْ): وذلك لمَّا اشتدَّ البلاء على المسلمين في مكَّة بعد بيعة العقبة الثَّانية، أَذِنَ النَّبيُّ ﷺ لأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالهجرة إلى المدينة، وأمرهم باللِّحاق بالأنصار، قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فلمَّا أَذِنَ الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبايعه هذا الحي مِنَ الأنصار على الإسلام والنُّصرة له وَلِمَن اتَّبعه، وأوى إليهم مِنَ المسلمين، أَمَرَ رسول الله ﷺ أصحابه مِنَ

(١) البداية والنهاية (٢/ ٢٣٢).

المهاجرين مِن قومه، ومَن معه بمكَّة مِنَ المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللُّحوق بإخوانهم مِنَ الأنصار، وقال: "إن الله ﷻ قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها" فخرجوا أرسالًا، وأقام رسول الله ﷺ بمكَّة ينتظر أن يأذن له ربّه في الخروج مِن مكَّة، والهجرة إلى المدينة"(١).

وجاء في صحيح البخاري ذِكْرُ المهاجرين الأوَّلين كما في حديث البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلاَلٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ"(٢).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولم يبقَ بمكَّة مِنَ المسلمين إلَّا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أقاما بأمرهِ لهُما، وخلا مَن اعتقله المشركون كرهًا، وقد أعدَّ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جهازه وجهاز رسول الله ﷺ منتظرًا حتَّى يأذن الله

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٨).

(٢) رواه البخاري ح٣٩٢٥.

وجل لرسوله ﷺ في الخروج"[1].

(وَهَاجَرَ الرَّسُولُ): فأعلنت قريشٌ ملاحقتها للنَّبيِّ ﷺ وصاحبه رضي الله عنه حتى وصلا إلى غارِ ثورٍ، ومكثا فيه ثلاث ليالٍ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه عن ذلك فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، ثمَّ استمرَّت رحلتهما حتى وصلا إلى المدينة بفضل الله تعالى، وذلك يوم الاثنين، وعمره ثلاثٌ وخمسون، وَمَكَثَ فيها عشر سنين، قال ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ"[3].

ولمَّا وَصَلَ النَّبيُّ ﷺ المدينة استنارت المدينة، وكان يومًا مشهودًا لم تشهده المدينة مِن قبل، قال البراء بن عازب رضي الله عنه: "قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ

---

(١) الفصول في السيرة ص١١٤.

(٢) سورة التَّوبة: ٤٠.

(٣) رواه البخاري برقم ٣٩٠٢.

أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ"[1]، وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فَشَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ، وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ، وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَاتَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ، وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ ﷺ"[2].

(وَالصِّدِّيقُ): هو أبو بكر، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أوَّل مؤمن برسول الله ﷺ مِنَ الرِّجال، وخليفته في الصَّلاة وبعد موته ﷺ، وُلِدَ بعد عام الفيل بسنتين ونصف، ولازم النَّبيَّ ﷺ قبل البعثة وبعدها، وهو صاحبه في الهجرة، حَضَرَ المشاهد كلَّها، وهو أفضل الصَّحابة، وأحد المبشرين بالجنَّة بُويِعَ بالخلافة في السَّقيفة، وتوفي سنة ثلاث عشرة مِنَ الهجرة.

(نِعْمَ الصَّاحِبُ الرَّفِيقُ): وممَّا يدلُّ على صُحبة أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنَّبيِّ ﷺ في الهجرة إلى المدينة، مَا جاء في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، فَلَمَّا

---

(١) رواه البخاري ح ٣٩٢٥.

(٢) رواه أحمد ح ١٤٠٦٣.

أُذِنَ لَهُ فِي الخُرُوجِ إِلَى المَدِينَةِ، لَمْ يَرُعْنَا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا، فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: "أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قَالَ: "أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ"، قَالَ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "الصُّحْبَةَ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ: "قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ"[1].

وكان الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نِعْمَ الصَّاحب والرَّفيق لرسول الله ﷺ لمرافقته الطَّريق في هجرته مِن مكَّة إلى المدينة؛ لذلك أوَّل مَا عَلِمَ أبو بكرٍ بأمر الهجرة مع النَّبيِّ ﷺ فَرِحَ فَرَحًا شديدًا، وقام بإتاحة كلّ الإمكانات الماديَّة مِن وسائل الرُّكوب وغيرها، والإمكانات البشريَّة متمثِّلةً في نفسه وأولاده وخادمه لتكون في خدمة الدَّعوة إلى الله تعالى.

(١) رواه البخاري ح ٢١٣٨.

أعماله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أوَّل دخوله المدينة

وَبُنِيَ الـمَسْـجِدُ فِي الـمَدِينَةْ ... وَكُتِبَتْ وَثِيقَةٌ مَتِينَةْ
وَقَبْلَهَا آخَى رَسُولُ البَارِي ... بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ
وَقَامَتِ الدَّوْلَةُ لِلإِيمَانِ ... وَشُرِعَتْ شَرِيعَةُ الرَّحْمَنِ

(وَبُنِيَ المَسْجِدُ فِي المَدِينَةْ): أي أوَّل مَا وَصَلَ النَّبيُّ ﷺ إلى المدينة، كان بناء المسجد مِن أهمِّ اهتماماته، فقام ببناء مسجد قباء، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولمَّا حلَّ الرِّكاب النَّبوي بالمدينة، وكان أوَّل نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف، وهي قباء - كما تقدم -، فأقام بها أكثر مَا قيل: ثنتين وعشرين ليلة، وقيل: ثماني عشرة ليلة، وقيل: بضع عشرة ليلة، وقال موسى بن عقبة: ثلاث ليالٍ، والأشهر مَا ذكره ابن إسحاق وغيره أنَّه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أقام فيهم بقباء مِن يوم الاثنين إلى يوم الجمعة.

وقد أسَّس في هذه المُدَّة المختلف في مقدارها - على مَا ذكرناه - مسجد قباء ... وهو مسجدٌ شريفٌ فاضلٌ، نَزَلَ فيه قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ

أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾[1] كما تكلَّمنا على تقرير ذلك في التَّفسير"[2].

وكذلك قام النَّبيُّ ﷺ ببناء المسجد النَّبوي، حيث بركت ناقته ﷺ في مربد للتَّمر لسهيل وسهل، غلامين يتيمين مِن بني النَّجَّار، وكان الذي يكفلهما أسعد بن زرارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثمَّ دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتَّخذه مسجدًا، فقالا: لا بل نَهَبَهُ لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما حتى ابتاعه منهما، ثمَّ بناه مسجدًا.

(وَكُتِبَتْ وَثِيقَةٌ مَتِينَةْ): أي وَمِنَ الأعمال التي قام بها الرَّسولُ ﷺ عند وصوله المدينة: كتابة الصَّحيفة، قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَكَتَبَ رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم، وَشَرَطَ لهم، واشترط عليهم"[3].

---

(١) سورة التَّوبة: ١٠٨.

(٢) البداية والنِّهاية (٣/ ٢٥٤).

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٥٠١)؛ وانظر تفاصيل هذه الصحيفة في: سيرة ابن هشام (٢/ ١١٥)؛ البداية والنهاية (٣/ ٢٣٨)؛ الروض الأنف (٢/ ٣٥٠)؛ سبل الهدى والرشاد (٣/ ٣٨٢).

(وَقَبْلَهَا آخَى رَسُولُ البَارِي): أي وقبل أن يكتب النَّبيُّ ﷺ الوثيقة آخى بين المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وذلك في العام الأوَّل مِنَ الهجرة، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "ثمَّ آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلا نصفهم مِنَ المهاجرين، ونصفهم مِنَ الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلمَّا أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1] ردَّ التَّوارث إلى الرَّحم دون عقد الأخوَّة"[2].

وقد جسَّد الأنصار معنى الأُخوَّة الحقَّة مع إخوانهم المهاجرين، فكانوا خير دارٍ وخير جوار، آثروهم على أنفسهم، وقاسموهم في أموالهم، وبذلك أثنى الله تعالى عليهم في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب: ٦.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٥٦).

(٣) سورة الحشر: ٩.

(بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ): أي أنَّ النَّبيَّ ﷺ آخى بين أصحابه المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويتأنسوا مِن مفارقة الأهل والعشيرة، ويشدُّ بعضهم أَزْرَ بعضٍ.

(وَقَامَتِ الدَّوْلَةُ لِلْإِيمَانِ): وكانت ملتقى المهاجرين والأنصار، وموطن الذين تبوَّؤا الدَّار والإيمان، والعاصمة الأولى للمسلمين، وقد كان بناء المسجد الخطوة الأولى على هذا الطَّريق، ثمَّ أعقبه إصدار (الوثيقة)، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتشكيل جيش إسلامي مقاتل يمتلك القدرة على حماية الدَّولة النَّاشئة، والمساعدة على تحقيق أهدافها في الوقت نفسه.

(وَشُرِعَتْ شَرِيعَةُ الرَّحْمَنِ): أي: شُرِعَت في المدينة الشَّرائع والأحكام تباعًا، ففي السَّنة الأولى مِنَ الهجرة أُكمِلت صلاة الحَضر فصارت الصَّلاة الثُّنائيَّة وهي الظُّهر والعصر والعشاء أربع ركعات، وبقيت في السَّفر ركعتين كما كانت عليه قبل الهجرة، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الأُولَى"(١).

وفي السَّنة الأولى للهجرة أيضًا: أقام النَّبيُّ ﷺ صلاة الجمعة في مسجده، وكان قد جمَّع في ديار عوف بن سالم أوَّل وصوله للمدينة، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٣٥.

"ولمَّا ارتحل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِن قُباء، وهو راكب ناقته القصواء، وذلك يوم الجمعة، أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف، فصلَّى بالمسلمين الجمعة هنالك، في وادٍ يُقال له (وادي رَانُونَاء)، فكانت أوَّل جمعة صلَّاها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة، أو مطلقًا؛ لأنَّه - والله أعلم - لم يكن يتمكَّن هو وأصحابه بمكَّة مِنَ الاجتماع حتى يقيموا بها جمعةً ذاتَ خُطبةٍ وإعلانٍ بموعظةٍ، ومَا ذاك إلَّا لشدَّة مخالفة المشركين له، وأذيَّتهم إيَّاه"(١).

وفي السَّنة الأولى للهجرة أيضًا: شُرِعَ الأذان للصَّلاة؛ حيث أنَّهم كانوا يجتمعون للصَّلاة بدون أذان ولا نداء، وإنَّما كانوا يتحيَّنون وقت الصَّلاة، فإذا شعروا بوقتها أتوا إلى المسجد، قال ابن عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "كَانَ المُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلاَةَ لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ اليَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلاَ تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلاَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَا بِلاَلُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلاَةِ"(٢).

---

(١) البداية والنِّهاية (٣/ ٢٥٨).

(٢) رواه البخاري برقم ٦٠٤.

وقد شُرِع الأذان بعد رؤيةٍ رآها عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المنام، سَمِع فيها ألفاظ الأذان، ثمَّ قصَّها على النَّبيِّ ﷺ، فقال له النَّبيُّ ﷺ: "إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ، فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ"(١).

(١) رواه أبو داود ح٤٩٩، وحسَّنه الألباني.

الإذن بالقتال

وَأَذِنَ الإِلَـــــــهُ بِالقِتَـــــــالِ ... فِـي السَّـنَةِ الأُولَـى بِـلَا جِـدَالِ
فَكَانَـــتِ الغَـــزْوَاتُ وَالسَّـــرَايَا ... مِـنَ النَّبِـيْ وَالصَّـحْبِ ذِي المَزَايَـا

(وَأَذِنَ الإِلَهُ بِالقِتَالِ): فِي السَّنَةِ الأُولَى، حيث أنَّ النَّبيَّ ﷺ مَكَثَ في بداية أَمْرِهِ يُنذِر بالدَّعوة بغير قتالٍ، صابرًا هو وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على كيد المشركين وأذاهم؛ امتثالًا لأمرِ الله تعالى لهم بالصبر على الأذى، والعفو، ففي صحيح البخاري أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ المُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الكِتَابِ، كَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[1]، وَقَالَ اللهُ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّلُ العَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ،

(١) سورة آل عمران: ١٨٦.

(٢) سورة البقرة: ١٠٩.

حَتَّى أَذِنَ اللهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ"(١).

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يُؤذن له في الحرب وَلم تُحَلَّلْ لَهُ الدِّماء، إنَّما يُؤمر بالدُّعاء إلى الله والصَّبر على الأذى، والصَّفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطَّهدت مَنِ اتَّبعه مِنَ المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم مِن بلادهم، فهم مِن بين مفتونٍ في دينه، وَمِن بين مُعذَّب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فرارًا منهم، منهم مَن بأرض الحبشة، ومنهم مَن بالمدينة، وفي كلِّ وجه، فلمَّا عتت قريش على الله وَجَلَّ، وردُّوا عليه مَا أرادهم به مِنَ الكرامة، وكذَّبوا نبيَّهُ ﷺ، وعذَّبوا وَنَفوا مَن عَبَدَهُ وَوَحَّدَهُ وَصَدَّقَ نبيَّهُ، واعتصم بدينه، أَذِنَ الله وَجَلَّ لرسوله ﷺ في القتال والانتصار مِمَّن ظلمهم وبَغى عليهم، فكانت أوَّل آية أُنزلت في إِذنه له في الحرب، وإحلاله له الدِّماء والقتال، لِمَن بغى عليهم، فيما بلغني عن عروة بن الزُّبير وغيره مِنَ العلماء، قول الله تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ

(١) رواه البخاري ح٤٥٦٦.

بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(١)(٢).

(فَكَانَتِ الغَزْوَاتُ وَالسَّرَايَا ...): الغزوة: هي التي يقودها النَّبيُّ ﷺ بنفسه ويشارك فيها. وأمَّا السَّريَّة فهي التي يبعثها النَّبيُّ ﷺ دون أن يكون فيها، ويكون على رأسها أَحَدٌ مِن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وسُمِّيت سريَّة لأنَّها جرت العادة بأنَّها تُبعَث في اللَّيل، يقال: فلان سرى أي: مضى في اللَّيل.

عَنْ إِسْمَاعِيل بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: "كَانَ أَبِي يُعَلِّمُنَا مَغَازِيَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعُدُّهَا عَلَيْنَا، وَسَرَايَاهُ وَيَقُولُ: يَا بَنِيَّ هَذِهِ مَآثِرُ آبَائِكُمْ فَلَا تُضَيِّعُوا ذِكْرَهَا"(٣)، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: "كُنَّا نُعَلَّمُ مَغَازِيَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَرَايَاهُ كَمَا نُعَلَّمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ"(٤).

---

(١) سورة الحج: ٣٩ – ٤١.

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٧).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، (٢/ ١٩٥).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٩٥).

وأمَّا عدد الغزوات والسَّرايا، فقد قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضِّحًا ذلك:

"وقد توسَّع ابن سعد فبلغ عدَّة المغازي التي خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه سبعًا وعشرين، وتبع في ذلك الواقدي، وهو مطابقٌ لِمَا عَدَّه ابنُ إسحاق إلَّا أنَّه لم يفرد وادي القرى مِن خَيبر ... وأمَّا البُعوث والسَّرايا فَعَدَّ ابن إسحاق ستًّا وثلاثين، وَعَدَّ الواقدي ثمانيًا وأربعين، وحكى ابن الجوزي في "التَّلقيح" ستًّا وخمسين، وَعَدَّ المسعودي ستِّين، وبلغها شيخنا في "نظم السِّيرة" زيادةً على السَّبعين، ووقع عند الحاكم في "الإكليل" أنَّها تزيدُ على مائةٍ، فلعله أراد ضمَّ المغازي إليها"[1].

(مِنَ النَّبِيْ وَالصَّحْبِ ذِي المَزَايَا): أي أنَّ الغزوات والسَّرايا كانت بقيادة النَّبيِّ ﷺ والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أصحاب الفضائل والمنازل العالية.

وقد غزا النَّبيُّ ﷺ مُؤيَّدًا بالنُّصرةِ مِنَ الله تعالى، وذلك بالرُّعب الذي يجعله الله في قلوب عدُّوه، كما في حديث جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ"[2].

(١) فتح الباري (٧/ ٢٨١) باختصار.

(٢) رواه البخاري ح٤٣٨.

غزوة بدر الكبرى وقينقاع

فَبَـدْرٌ الكُبْـرَى جَـرَتْ فِـي الثَّانِيَـةْ وَقَيْنُقَـــاعُ لِلْيَهُـــودِ جَالِيَـــةْ

وفي هذا البيت يذكرُ شيخنا غزوات النَّبي ﷺ، والتي كانت في السَّنة الثَّانية مِنَ الهجرة، وهي غزوة بدر الكبرى، وغزوة قينُقاع.

(فَبَدْرٌ الكُبْرَى): وقد سُمِّيت غزوة بدر بهذا الاسم: نسبةً إلى المكان الذي حصلت فيه، وبدر هو بئرٌ مشهورة تقع بين مكَّة والمدينة، وكانت تلك الغزوة في السَّابع عشر مِن شهر رمضان مِنَ السَّنة الثَّانية للهجرة، وقد انتهت بالنَّصر المؤزَّر للمسلمين، حيث كان عدد المسلمين الذين استُشهِدُوا فيها أربعة عشر رجلًا، وأمَّا قتلى المشركين فقد بلغ عددهم سَبعين رجلًا مِن أعيانهم وكبرائهم وأشرافهم، وبلغ أسراهم سَبعين، وغَنِمَ المسلمون غنائم عظيمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، وسمَّى الله تعالى يوم بدرٍ بيوم الفرقان، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[2]؛ لأنَّه فرَّق بين الحقِّ والباطل.

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٣.

(٢) سورة الأنفال: ٤١.

وعندما بدأ النَّبيُّ ﷺ بتنظيم الجيش، أعطى اللِّواء للصَّحابي مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ابن عبد البَر رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولم يختلف أهلُ السِّيَر أنَّ راية رَسُول اللهِ ﷺ يوم بدر ويوم أُحد كانت بيد مصعب بْن عمير، فلمَّا قُتِلَ يوم أُحد أخذها عَلِيُّ بْن أَبِي طَالِبٍ"(١).

وفي صحيح مسلم عَنْ عُمَر بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: "اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ"، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، (٤/ ١٤٧٥).

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[1]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ"[2].

(وَقَيْنُقَاعُ لِلْيَهُودِ جَالِيَهْ): بنو قَيْنُقَاع هم قبيلة مِن قبائل اليهود التي كانت في المدينة، وقد وادعَهم النَّبيُّ ﷺ حين قَدِمَ المدينة مهاجرًا، وَعَقَدَ بينه وبينهم معاهدة، وكُتِبَ بذلك كتاب، لكنَّهم نقضوا ذلك العهد وبغوا على المسلمين.

وقد وقعت هذه الغزوة بعد عزوة بدر الكبرى، وذلك في شهر شوال مِنَ السَّنة الثَّانية للهجرة، حيث حاصرهم النَّبيُّ ﷺ في حصونهم خمس عشرة ليلة، مِن منتصف شهر شوال إلى غُرَّة هلال ذي القعدة، وقذف الله تعالى في قلوبهم الرُّعب، فنزلوا على حكمه ﷺ، وكان قد أراد أن يُقتَل مُقَاتِلَهم، ثمَّ شَفَعَ فيهم المنافق عبد الله بن أُبي بن سلول عن القتل، وكان حليفًا لهم، فأجلاهم وأخرجهم رسول الله ﷺ عن المدينة.

(١) سورة الأنفال: ٩.

(٢) رواه مسلم ح ١٧٦٣.

غزوة أُحد وبني النَّضير

وَأُحُـــدٌ فِـــي عَـــامِ ثَالِـــثٍ أَتَـــتْ وَرَابِـــعٍ بَنُـــو النَّضِـــيرِ أُجْلِيَـــتْ

وفي هذا البيت يذكر النَّاظم – حفظه الله – غزوة أُحُدٍ وغزوة بني النَّضير، فقال: (وَأُحُدٌ فِي عَامِ ثَالِثٍ أَتَتْ): أي كانت في شوال في السَّنة الثَّالثة مِنَ الهجرة، وهي الوقعة التي امتحنَ الله تعالى فيها عباده المؤمنين واختبرهم، وَمَيَّز فيها بين المؤمنين والمنافقين، وكان عدد المسلمين فيها سبعمائة بعد أن رجع ابن أبي سلول رأس المنافقين بثلث الجيش وعددهم ثلاثمائة.

وقد وقعت هذه المعركة نتيجة هجوم شنَّته قريش على المدينة، ولم يَمُر على غزوة بدر سوى سنة واحدة وشهر، واستهدفت الثَّأر لقتلاها ببدر، وإنقاذ طرق التِّجارة إلى الشَّام مِن سيطرة المسلمين واستعادة مكانتها عند العرب بعد أن زعزعتها موقعة بدر، وبلغ عدد جيش قريش ثلاثة آلاف رجل.

وقد انتصر المسلمون في أوَّلها، ولكن مخالفة الرُّماة لأمر النَّبيِّ ﷺ جعل الدَّائرة تدور عليهم، فاستُشهِدَ فيها نحو السَّبعين مِن خيار الصَّحابة رضي الله عنهم، منهم سيِّد الشُّهداء حمزة بن عبد المطَّلب عمُّ النَّبيِّ ﷺ، وأمَّا النَّبيُّ ﷺ فقد

سُئِلَ سَهْلِ بن سَعْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ جُرْحِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: "جُرِحَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ البَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ"(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "كان يومُ أُحُدٍ يوم بلاء وتمحيص، اختبر الله وَجَلَّ به المؤمنين، وَأَظهرَ به المنافقين مِمَّن كان يُظهِرُ الإسلام بلسانه، وهو مُستَخفٍ بالكفر، فأكرم الله فيه مَن أراد كرامته بالشَّهادة مِن أهل ولايته، فكان مِمَّا نَزَلَ مِنَ القرآن في يوم أُحُدٍ ستُّون آية مِن آل عمران، أوَّلها: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾(٢) إلى آخر القِصَّة"(٣).

(وَرَابِعٍ بَنُو النَّضِيرِ أُجْلِيَتْ): وكانت غزوة بني النَّضير في شهر ربيعٍ الأوَّل مِن السَّنة الرَّابعة للهجرة؛ حيث كان سبب هذه الغزوة: أنَّ النَّبيِّ ﷺ خرَج إلى بني النَّضير يستعينهم – لِمَا بينهم وبينه مِنَ الحِلْف – في دِيَةِ رجُليْنِ قَتَلهما رجلٌ مِن أصحابه لهُما عهدٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ لم يشعُر به، فقالوا: نعم، يا أبا القاسم،

---

(١) رواه البخاري ح٢٩١١.

(٢) سورة آل عمران: ١٢١.

(٣) زاد المعاد (٣/ ١٨٩).

نعينك على مَا أحببت، ممَّا استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنَّكم لن تجدوا الرَّجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار مِن بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة، وكان رسول الله ﷺ في نَفَرٍ مِن أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي، رضوان الله عليهم.

فأتى رسول الله ﷺ الخبر مِنَ السَّماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة. فلمَّا استلبث النَّبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلًا مُقبلًا مِنَ المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلًا المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ، حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت مِنَ الغدر به، وَأَمَرَ رسول الله ﷺ بالتَّهيُّؤ لحربهم، والسَّير إليهم[1]. وحاصرهم ستَّ ليالٍ، فقذف الله تعالى في قلوبهم الرُّعبَ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكفَّ عن

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٠).

دمائهم، على أنَّ لهم مَا حملت الإبل مِن أموالهم إلَّا السِّلاح، فكان لهم ذلك، وأنزل الله تعالى فيهم سورة الحشر، يذكر فيها مَا أصابهم به مِن نقمته، ومَا سلَّط عليهم به رسوله، ومَا عَمِلَ به فيهم[1].

(١) البداية والنِّهاية (٤/ ٨٦).

غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك

وَغَـزْوَةٌ إِلَـى بَـنِـيِّ الـمُصْـطَـلِـقْ بِهَا حَدِيثُ الإِفْكِ أَمْسَـى مُنْطَلِقْ

(بَنِيِّ المُصْطَلِقْ): وقد كانت هذه الغزوة في شعبان مِنَ السَّنة الخامسة مِنَ الهجرة كما أشار النَّاظم، وقيل: في السَّادسة. وهو لقب، واسمه جذيمة بن سعد بن عمر بن ربيعة بن حارثة، بطن من بني خزاعة. وتُسمَّى غزوة المُرَيْسِيعُ، نسبةً إلى ماء لِبَنِي خُزَاعَة في تلك المنطقة يُقالُ له: المُرَيْسِيع.

وسَبَبُهَا: أَنَّه لمَّا بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ أَنَّ الحَارِثَ بنَ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّد بَنِي المُصْطَلِقِ وَرَئِيسَهُم، جَمَعَ قَومَهُ لِحَربِ رسول الله ﷺ وَمَنْ قَدِرَ عليه مِنَ العرب، فندبَ رسولُ الله ﷺ النَّاسَ إليهم، فأسرعوا الخروج، وكانوا سبعمائة، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المُرَيْسِيع مِن ناحية قُدَيْد إلى السَّاحل، فأغار عليهم وهم غافلون، فقُتِلَ منهم مَنْ قُتِل، وسبى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ النِّساء والذُّريَّة، والنَّعَم والشَّاء.

(حَدِيثُ الإِفْكِ أَمْسَى مُنْطَلِقْ): الإفك هو: هو الكذب والبهتان، وذلك بعد مرجع النَّبيُّ ﷺ مِن غزوة بني المُصْطَلِق: افترى المنافقون على أمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا حادثة الإفك، وذلك حينما خرجت مِن هودجها لحاجتها، ثمَّ

رجعت، ففقدت عِقدًا عليها، فرجعت تلتمسه، فجاء الذين يرحلون هودجها فحملوه وهم يظنُّونها فيه، وعادوا إلى المدينة، وبقيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في مكانها، حتى جاء صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحملها على بعيره إلى المدينة، فاستغلَّ أهل النِّفاق هذه الحادثة، وحاكوا قصَّة الإفك، فأنزل الله تعالى براءتها في القرآن الكريم، وذلك في سورة النُّور بعد شهرٍ مِن الإشاعات، وأقام النَّبيُّ ﷺ الحدَّ على مَن تكلَّم في عِرضها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذه العشر آيات كلّها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين رماها أهل الإفك والبهتان مِنَ المنافقين بما قالوه مِنَ الكذب البحت والفرية التي غار الله

(١) سورة النور (١٠ – ٢٠).

وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله تعالى براءتها صيانةً لعرض رسول الله ﷺ"(١).

وقال أيضًا: "وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبةً على أنَّ مَن سبَّها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذُكِرَ في هذه الآية، فإنَّه كافرٌ؛ لأنَّه معاندٌ للقرآن"(٢).

ولمَّا نزلت تلك الآيات في براءة عائشة رضي الله عنها قالت متواضعة كما في صحيح البخاري: "وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ"(٣).

(١) تفسير ابن كثير، لابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، (٦/ ١٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩).

(٣) رواه البخاري ح٤١٤١.

غزوتا الخندق وبني قريظة

وَخَـنْـدَقٌ قُـرَيْـظَـةٌ فِي الـخَـامِسَـــةْ .....

أشار شيخنا النَّاظم – حفظه الله – في هذا الشَّطر مِنَ البيت إلى غزوتي الخندق وبني قريظة فقال: (وَخَنْدَقٌ قُرَيْظَةٌ) وأنَّهما كانتا في السَّنة الخامسة.

(وَخَنْدَقٌ): أي وغزوة الخندق، حيث كانت في شوال مِنَ السَّنة الخامسة، وكان عدد المسلمين فيها ثلاثة آلاف، وسُمِّيت بالخندق لحفر النَّبيّ ﷺ الخندق بإشارة سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسُمِّيت بالأحزاب؛ وذلك لاجتماع طوائف المشركين على حرب المسلمين وهم: قريش وغطفان واليهود ومَن معهم، وهم الذين سمَّاهم الله تعالى بالأحزاب، وأنزل في ذلك صدر سورة الأحزاب.

وهي الغزوة التي "ابتلى الله فيها عباده المؤمنين وزلزلهم، وثبَّت الإيمان في قلوب أوليائه، وأظهرَ مَا كان يبطنه أهل النِّفاق، وفضحهم وقرَّعهم، ثم أنزل نصره، وَنَصَرَ عبده، وَهَزَمَ الأحزاب وحده، وأعزَّ جُنده، وَرَدَّ الكَفرة بغيظهم، ووقى المؤمنين شرَّ كيدهم، وذلك بفضله ومَنِّه. وحرَّم عليهم شرعًا وقدرًا أن

يغزوا المؤمنين بعدها، بل جعلهم المغلوبين، وَجَعَلَ حزبه هم الغالبين، والحمد لله رب العالمين"[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا سبب هذه الغزوة: "أنَّ نفرًا مِن يهود بني النَّضير الذين أجلاهم ﷺ مِنَ المدينة إلى خيبر ... خرجوا إلى قريش بمكَّة فألَّبوهم على حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم مِن أنفسهم النَّصر، فأجابوهم، ثم خرجوا إلى غَطَفان فدعوهم فأجابوهم أيضًا، وخرجت قريشٌ وقائدُهم: أبو سفيان بن حرب، وعلى غَطَفان عُيَينة بن حصن، كلُّهم في نحو عشرة آلاف رجلٌ. فلمَّا سَمِعَ رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه أَمَرَ المسلمين بحفر خندقٍ يحول بين المشركين وبين المدينة، وكان ذلك بإشارة سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ... وخرج رسول الله ﷺ فتحصَّن بالخندق وهو في ثلاثة آلاف ... فجعلوا ظهورَهم إلى سَلْع، وَأَمَرَ ﷺ بالنِّساء والذَّراري، فجُعِلوا في آطام المدينة، واستخلف عليها ابنَ أُمِّ مكتوم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ"[2]. ونقض بنو قريظة أيضًا العهد، فَعَظُمَ ذلك على المسلمين، واشتدَّ الأمر، وَعَظُمَ الخَطر، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا

(١) الفصول في السيرة ص١٦٣.

(٢) الفصول في السيرة ص١٦٥ باختصار.

زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[1]، وَثَبَتَ المشركون محاصرين رسول الله ﷺ شهرًا، ثمَّ أرسل الله تعالى على قريشٍ ومَن معهم الجنود والرِّيح تُزلزلهم، فجعلوا لا يقرُّ لهم قرار، ولا تثبت لهم خيمة، ولا قِدْر ولا شيء، ففرَّقت جموع المشركين مِن ليلتِهم.

(قُرَيْظَةُ): أي وفي السَّنة الخامسة بعد أن فرَغَ النَّبيُّ ﷺ مِنَ الأحزاب غزا بني قريظة بسبب نقضهم للعهد، وحاصرهم خمسةً وعشرين ليلةً حتى استسلموا، وأَمَر بقتل مقاتلهم مِنَ الرِّجال. وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: "قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ"[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأمَّا قريظة، فكانت أشدّ اليهود عداوةً لرسول الله ﷺ، وأغلظهم كفرًا؛ ولذلك جرى عليهم مَا لم يجر على إخوانهم"[3].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "فصلٌ في غزوة بني قريظة، ومَا أحلَّ الله تعالى بهم مِنَ البأس الشَّديد مع مَا أعدَّ الله لهم في الآخرة مِنَ العذاب الأليم؛ وذلك لكفرهم

---

(١) سورة الأحزاب: ١١.

(٢) رواه البخاري ح٤١١٧.

(٣) زاد المعاد (٣/ ١١٣).

ونقضهم العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ ومما لأتهم الأحزاب عليه فما أجدى ذلك عنهم شيئًا، وباءوا بغضبٍ مِنَ الله ورسوله، والصَّفقة الخاسرة في الدُّنيا والآخرة"[1].

(١) البداية والنهاية (٤/ ١٣٣).

صلح الحديبية وبيعة الرِّضوان[1]

..... صُـلْحُ الحُدَيْبِيَّةِ كَانَ السَّـادِسَـةْ

وَبَيْعَـةُ الرِّضْـوَانِ تَحْـتَ الشَّـجَرَةْ بَـايَـعَ عَـنْ عُـثْـمَـانَ خَـيْـرُ الـبَـرَرَةْ

(صُلْحُ الحُدَيْبِيَّةِ): الحديبيةُ اسم بئرٍ تقع على بُعد اثنين وعشرين كَيْلًا إلى الشِّمال الغربي مِن مكَّة، وتُعرفُ الآن بالشُّمَيْسِي، وفيها حدائق الحديبية ومسجد الرِّضوان، وأطرافها تدخل في حدود الحرم المكِّي، ومعظمها مِنَ الحِلِّ خارجه، وقد سمِّيت الغزوة بها؛ لأنَّ قريشًا منعت المسلمين مِن دخول مكَّة وهم بالحديبية.

وقد خرج النَّبيُّ ﷺ إلى الحديبية في يوم الاثنين مِن شهر ذي القعدة مِنَ السَّنة السَّادسة للهجرة، قَصَدَ بخروجه للعُمرة بعد رؤية رآها، وكان معه مِنَ المسلمين ألفًا وأربعمائة مِن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إلَّا أنَّ قريشًا منعتهم مِن دخول مكَّة، فأرسل لهم النَّبيُّ ﷺ الرُّسل ليخبروهم أنَّه لا يريد الحرب، وإنَّما يريد زيارة البيت الحرام وتعظيمه، ولكنَّ قريشٌ رفضت ذلك.

---

(١) قلت: بيعة الرِّضوان كانت قبل صلح الحديبية.

(وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةْ): وكان ممَّن أرسلهم النَّبيُّ ﷺ إلى قريش: عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأبلغهم رسالة النَّبيِّ ﷺ، وقد سامحت له قريشٍ بالطَّواف فأبى أن يسبقَ الرَّسولُ ﷺ وقد أخَّرتهُ قريشٌ، فحسِب المسلمون أنَّها قتلَتْهُ، فدعا رسول الله ﷺ للبيعة تحت الشَّجرة فبايعوه على الموت. ولمَّا كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محبوسًا في قريشٍ، فقد قال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: "هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: هَذِهِ لِعُثْمَانَ"(١)، ثمَّ رجع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المسلمين بعد البيعة.

وقد سُمِّيت بيعة الرِّضوان؛ لأنَّ الله تعالى قد رضِيَ عليهم كما ذَكر ذلك في كتابه فقال سبحانه: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(٢)، وقد جاء في فضل هذه البيعة مِنَ حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ: "أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ" وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ"(٣)، وفي صحيح مسلم

---

(١) رواه البخاري ح ٣٦٩٨.

(٢) سورة الفتح: ١٨.

(٣) رواه البخاري ح ٤١٥٤.

قال رسول الله ﷺ: "لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا"(١).

ولمَّا عَلِمَت قريش بهذه البيعة خافوا، وَرَغِبَ أهل الرَّأي فيهم بالصُّلح، فبعثت إلى رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو لذلك، وتمَّ الاتِّفاق على الأمور الآتية:

١- يرجع محمَّد ﷺ عَامَه هذا، فلا يدخل مكَّة، وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون، فأقاموا بها ثلاثًا، معهم سلاح الرَّاكب، وهي السُّيوف في القرب، ولا تتعرَّض قريش لهم بأيِّ نوعٍ مِن أنواع الأذى.

٢- وَضعُ الحرب بين الطَّرفين عشر سنين، يأمَن فيهنَّ النَّاس، ويكفّ بعضهم عن بعض.

٣- مَن أحبَّ أن يدخل في عَقد محمَّد ﷺ وعهده دخل فيه، ومَن أحبَّ أن يدخل في عَقد قريش وعهدهم دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنضمّ إلى أيِّ الفريقين جزءًا مِن ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرَّض له أي مِن هذه القبائل يعتبر عدوانًا

(١) رواه مسلم ح٢٤٩٦.

على ذلك الفريق. فتواثبت خزاعة، فقالوا: نحن مع عقد رسول الله ﷺ وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.

٤- مَن أتى محمَّدًا ﷺ مِن أصحابه بغير إذن وليه ردَّه عليهم، ومَن أتى قريشًا ممَّن مع محمَّد ﷺ لم يردَّه عليه، وكان هذا أشدُّ شرط على المسلمين.

٥- أنَّ بين الفريقين عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ(١)، وأنَّه لا إسلال(٢)، ولا إغلال(٣).

وقد تذمَّر الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِن هذا الصُّلح، وَغَلَبَ عليهم الحزن؛ لتصوُّر معظمهم أنَّ في شروط الصُّلح إجحافًا بهم، ثمَّ أمرهم النَّبيَّ ﷺ أن ينحروا الهدي ويحلقوا رؤوسهم، فلم يقم منهم أحد، فلمَّا رأوه قام بمشورةٍ مِن أمِّ المؤمنين سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فذبح بُدْنَهُ وَحَلَقَ رأسهُ قاموا، وَجَعَلَ بعضُهُم يحلقُ لبعضٍ.

---

(١) بينهم موادعة ومكافّة عن الحرب، تجريان مجرىٰ المودة التي تكون بين المتصافين الذين يثق بعضهم إلىٰ بعض.

(٢) الإسلال: السرقة.

(٣) الإغلال: الخِيَانَة.

ثمَّ رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، بعد أن أقام بالحديبية نحو عشرين يومًا، وفي الطَّريق إلى المدينة نزلت عليه سورة الفتح، وعبَّر عن عظيم فرحته بنزولها فقال ﷺ: "لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ"، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[1]"[2]. "فانقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرحٍ غامر، وأدركوا أنَّهم لا يمكن أن يحيطوا بالأسباب والنَّتائج، وأنَّ التَّسليم لأمرِ الله ورسوله فيه كلّ الخير لهم ولدعوة الإسلام"[3].

(١) سورة الفتح: ١.

(٢) رواه البخاري ح٤١٧٧.

(٣) السِّيرةُ النَّبويَّةُ الصَّحيحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، د. أكرم ضياء العمري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ، (٢/ ٤٤٩).

غزوة خيبر

وَخَـيْـبَـرٌ عَـلَـى الـيَـهُـودِ أَسْـــفَـرَتْ أَحْـدَاثُـهَـا فِي عَـامِ سَـــبْـعَـةٍ جَرَتْ

وفي هذا البيت يذكر شيخنا – حفظه الله – غزوة خيبر، حيث كانت في شهرِ الله المحرَّم مِنَ السَّنة السَّابعة على قول الجمهور، كما قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال موسى بن عقبة: ولمَّا قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة مِنَ الحديبية مَكَثَ بها عشرين ليلة أو قريبًا منها، ثمَّ خَرَجَ غازيًا إلى خيبر، وكان الله عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَهُ إيَّاها وهو بالحديبية. وقال مالك: كان فتحُ خيبر في السَّنة السَّادسة، والجمهور على أنَّها في السَّابعة"(١).

ولمَّا وَصَلَ النَّبيُّ ﷺ خيبر حاصرها حصنًا حصنًا، يفتحه الله تعالى عليه ويغنمه، حتَّى استكملها، وقسَّم أراضيهم بين المسلمين.

وفي السَّنة السَّابعة لمَّا فُتِحَت خيبر أهدت إليه امرأة مِن يهود خيبر شاةً مصليَّة مسمومة، فأكلَ مِن ذراعها، ثمَّ لفظها؛ لمَّا أخبره الذِّراع أنَّه مسموم، وقد وجَدَ النَّبيُّ أَثَرَ السُّمِّ في جَسَدِه، قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وحدَّثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى، قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفِّي فيه،

(١) زاد المعاد، (٣/ ٢٨١).

ودخلت أمُّ بِشر بنت البراء بن معرور تعوده: يا أمَّ بِشر، "إنَّ هذا الأوان وَجدتُ فيه انقطاع أبهُري مِنَ الأكلة التي أكلتُ مع أخيك بخيبر". قال: فإن كان المسلمون ليرون أنَّ رسول الله ﷺ مَات شهيدًا، مع مَا أكرمهُ الله به مِنَ النُّبوَّة"[1].

واصطفى ﷺ مِن غنائمها صفيَّة بنت حيي بن أخطب لنفسه، فأسلمت، فأعتقها، وتزوجها.

وكان المسلمون يوم خيبر ألفًا وأربعمائة رجل ومائتي فارس، واستُشهِدَ مِنهم نحو عشرين رجلًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعهم.

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٣٨).

سريَّة مؤته

ومُؤْتَـــــةٌ سَـــــرِيَّةٌ كَبِيـــــرةْ قَادَتُهَـــا أَسْـــمَاؤُهُمْ شَـــهِيرَةْ

وهنا يُشير النَّاظم – حفظه الله – إلى سريَّة مؤته، وهي بأدنى البلقاء مِن أرض الشَّام، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان، وكان سببها: أنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى الشَّام، إلى مَلك الرُّوم أو بصرى، فَعَرَضَ له شرحبيل بن عمرو الغسَّاني، فأوثقه رِبَاطًا، ثمَّ قَدَّمَهُ فضرب عنقه، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيرُه، فاشتدَّ ذلك عليه حين بلغه الخبر، فَبَعَثَ البُعوث"(١)، وكان عددهم ثلاثة آلاف، بقيادة زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بما جرى في هذه السَّريَّة كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ – وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَتَذْرِفَانِ – ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ"(٢).

---

(١) زاد المعاد، (٣/ ٣٣٦).

(٢) رواه البخاري ح١٢٤٦.

(قَادَتُهَا أَسْمَاؤُهُمْ شَهِيرَةْ): وهم ثلاثة: زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحه، قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ثمَّ التقى النَّاس واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتَّى شَاطَ[1] في رِمَاحِ القوم، ثمَّ أَخَذَهَا جعفر فقاتل بها، حتَّى إذا ألحمه القتال[2] اقتحم عن فَرَسٍ له[3] شقراء، فَعَقَرَهَا[4]، ثمَّ قاتل القوم حتى قُتِلَ. فكان جعفر أوَّل رَجُلٍ مِنَ المسلمين عَقَرَ في الإسلام. وحدَّثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عَبَّاد، قال: حدَّثني أبي الذي أرضعني، وكان أَحَدَ بني مُرَّة بن عوف، وكان في تلك الغزوة - غزوة مؤتة - قال: والله لكأنِّي أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فَرَسٍ له شقراء، ثمَّ عَقَرَهَا ثمَّ قاتل حتى قُتِلَ وهو يقول:

يَـــا حَبَّـــذَا الْجَنَّـــةُ وَاقْتِرَابُهَـــا ... طَيِّبَـــــةً وَبَـــــارِدًا شَـــــرَابُهَا

وَالـــروم روم قـــد دنـــا عَـــذَابُهَا ... كَـــــافِرَةٌ بَعِيـــــدَةٌ أَنْسَـــــابُهَا

عَلَـــــــــــيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَـــــــــــا ضِـــــــــرَابُهَا.

---

(١) يُقَال شاط الرجل: إِذا سَالَ دَمه فَهَلَك.

(٢) ألحمه القتال: نشب فيه فلم يجد مخلصًا.

(٣) اقتحم عن فرس له: رمىٰ بنفسه عنها.

(٤) عقرها: ضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف.

... فلمَّا قُتِلَ جعفر، أَخَذَ عبد الله بن رواحة الرَّاية، ثمَّ تقدَّم بها، وهو على فَرَسِهِ، فجعل يستنزل نفسه، ويتردَّد بعض التردُّد، ثمَّ قال:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ ... لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّه ... مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ ... هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّهْ

وقال أيضًا:

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي ... هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيتْ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتُ ... إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتُ

يريد صاحبيه: زيدًا وجعفرًا، ثمَّ نَزَلَ. فلمَّا نَزَلَ أتاه ابن عمٍّ له بِعَرْقٍ مِن لحم، فقال: شُدَّ بهذا صُلْبَك، فإنَّك قد لقيت في أيامك هذه مَا لقيت، فأخذه مِن يده ثمَّ انتهس منه نهسةً، ثمَّ سَمِعَ الحَطْمَةَ[1] في ناحية النَّاس، فقال: وأنت في الدُّنيا! ثمَّ ألقاه مِن يده، ثمَّ أَخَذَ سيفه فتقدَّم، فقاتل حتَّى قُتِلَ"[2].

(١) زحام النَّاس وحطم بَعضهم بَعْضًا.

(٢) سيرة ابن هشام، (٢/ ٣٧٨) باختصار.

فتح مكَّة وغزوة حُنين والطَّائف

فَـتْحٌ حُنَـيْنٌ طَـائِفٌ فِـي الثَّامِنَـةْ .....

أشار شيخنا – حفظه الله – هنا إلى ثلاث غزوات وقعت في السَّنة الثَّامنة للهجرة، وهي: غزوة فتح مكَّة، وغزوة حُنين وغزوة الطَّائف، وفيما يلي تفصيلًا موجزًا عنها:

(فَتْحٌ): أي فتح مكَّة، حيث كان في رمضان مِنَ السَّنة الثَّامنة للهجرة؛ وذلك بعد أن نقضت قريشٌ صلح الحديبيَّة، فخرج النَّبيُّ ﷺ في عشرة آلاف مِنَ المسلمين، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الفتح الأعظم الذي أعزَّ الله به دينَهُ ورسولَهُ، وجندَهُ وحزبَهُ الأمين، واستَنْقَذَ بِهِ بلَدَهُ وبيتَهُ الذي جعلَه هدىً للعالمين مِن أيدي الكُفَّار والمشركين، وهو الفتحُ الذي استبشرَ بِهِ أهلُ السَّماء، وَضَرَبت أطنابُ عِزِّهِ على مناكب الجَوزاء، وَدَخَلَ النَّاسُ به في دين الله أفواجًا، وأشرقَ بِهِ وَجهُ الأرض ضياءً وابتهاجًا"[1]. وهو الفتح الذي ذَكَرَهُ الله تعالى في مواضع مِن كتابه منها قوله: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ

(١) زاد المعاد، (٣/ ٣٤٧).

أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْ﴾[1]، وقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[2].

وقد دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ فاتحًا مكَّة مِنْ كَدَاءٍ، مِنْ أعلى مكَّة[3]، وعلى رأسهِ المِغْفَرُ[4]، وهو على ناقته، يقرأ سورة الفتح يُرَجِّعُ[5] بها صوته، ثمَّ أتى رسول الله ﷺ دار أم هانئ بنت أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فاغتسل، ثمَّ صلَّى ثماني ركعات في بيتها، وذلك ضحى، قالت أمُّ هانئ: "لَمْ أَرَهُ صَلَّى صَلاَةً أَخَفَّ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ"[6].

ثم أتى رسول الله ﷺ المسجد الحرام، وكان حَولَ الكعبة ثلاثُ مـــائةٍ

---

(١) سورة الحديد: ١٠.

(٢) سورة النصر: ١-٣.

(٣) رواه البخاري ح١٥٧٨.

(٤) المغفر: هو ما يلبسه الدارع علىٰ رأسه.

(٥) رواه البخاري ح٤٢٨١. والتَّرجيع: هو ترديد القراءة.

(٦) رواه البخاري ح٤٢٩٢.

وستُّون نُصُبًا، فَجَعَلَ يطعنُها بِعُودٍ كان بيده، ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾(١)، ﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾(٢)(٣).

وكان فيما قاله لقريش يوم الفتح: "يا معشر قريش، مَا ترون أنِّي فاعلٌ فيكم؟ قالوا: خيرًا، أَخٌ كريمٌ، وابنُ أَخٍ كريمٍ، قال: اذهبوا فأنتم الطُّلقاء"(٤).

(حُنَيْنٌ)(٥): ويُقالُ لها غزوة أوطاس(٦)، وتُسمَّى غزوة هوازن(٧)، وكانت هذه الغزوة في شوال مِنَ السَّنة الثَّامنة للهجرة، وكان سبب هذه الغزوة أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا فتح مكَّة، وخضعت له قريش، خاف أشراف هوازن وثقيف أن يغزوهم رسول الله ﷺ، فحشدوا وعزموا على قتاله، وكانوا عشرين ألفًا.

---

(١) سورة الإسراء: ٨١.

(٢) سورة سبأ: ٤٩.

(٣) رواه مسلم ح١٧٨١.

(٤) سيرة ابن هشام، (٢/ ٤١٢).

(٥) قال ابن حجر – رحمه الله –: "واد إلىٰ جنب ذي المجاز قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات" فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ه (٨/ ٢٧).

(٦) أوطاس: واد في ديار هوازن وهناك عسكروا هم وثقيف ثم التقوا بحنين. ينظر: فتح الباري (٨/ ٤٢).

(٧) هوازن: بفتح الهاء وكسر الزاي قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون. ينظر: شرح الزرقاني علىٰ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لمحمد الزرقاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ، (٣/ ٤٩٦).

ولمَّا خرج النَّبيُّ ﷺ إلى حنين كان معه اثنا عشر ألفًا مِنَ المسلمين، وأُعجِبوا حينها بكَثرتهم، حتَّى قال بعضهم: لن نُغلب اليوم مِن قِلَّة، فَهُزِمَ الجيش بذلك فتنةً ومحنةً، ثمَّ استقرَّ الأمر على النَّصر والظَّفر ، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يوم حنين أعجبتهم كثرتُهم ومع هذا مَا أجدى ذلك عنهم شيئًا، فولَّوا مدبرين إلَّا القليل منهم مع رسول الله ﷺ، ثمَّ أنزل نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه؛ ليعلمهم أنَّ النَّصر مِن عنده تعالى وحده وبإمداده وإن قَلَّ الجمع، فكم مِن فئةٍ قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصَّابرين"(١).

وقد ذَكَر الله تلك الغزوة في كتابه فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢).

(طَائِفٌ): وكانت غزوة الطَّائف في شوال سنة ثمان، حيثُ رَجَعَ النَّبيُّ ﷺ مِن حنين فلم يدخل مكَّة حتَّى أتى الطَّائف فحاصرهم، ثمَّ تركهم دون قتال.

---

(١) تفسير ابن كثير، (٤/ ١١٤).

(٢) سورة التوبة: ٢٥-٢٦.

غزوة تبوك

..... ثُـمَّ تَـبُـوكُ آخِـرٌ فِـي الـتَّـاسِـعَـةْ

وفي هذا البيت يذكر شيخنا – حفظه الله – غزوة تبوك، والتي كانت في رجب مِنَ السَّنة التَّاسعة للهجرة، وهي آخر غزوة غزاها النَّبيُّ ﷺ، وسُمِّيت بالعُسرة بسبب مَا وَقَعَ فيها مِنَ الشِّدَّة والضِّيق في النَّفقة والإبل والماء، وجاء هذا الاسم في القرآن الكريم، فقال سبحانه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾[1]، ووقع تسميتها كذلك في السُّنَّة كما قال البخاري في صحيحه: "باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة"، ثمَّ سَاق حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ الحُمْلاَنَ لَهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ العُسْرَةِ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ"[2].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ولما أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ على رسوله: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ

(١) سورة التوبة: ١١٧.

(٢) رواه البخاري ح٤٤١٥.

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[1] نَدَبَ رسولُ الله ﷺ أهلَ المدينة ومَن حولهم مِنَ الأعراب إلى الجهاد، وأعلمَهم بغزو الرُّوم، وذلك في رجب مِن سنة تسع، وكان لا يريد غزوة إلَّا ورَّى بغيرها، إلَّا غزوتَه هذه، فإنَّه صرَّح لهم بها ليتأهَّبوا، لشدَّة عدوِّهم وكثرتِه، وذلك حين طابت الثِّمار، وكان ذلك في سنة مُجدبة، فتأهَّب المسلمون لذلك ... ولمَّا انتهى إلى هناك لم يلقَ غزوًا، ورأى أنَّ دخولهم إلى أرض الشَّام بهذه السَّنة يشقُّ عليهم، فعزم على الرُّجوع."[2].

وكانت الغزوة فيها مِنَ الشِّدَّة والضِّيق في النَّفقة؛ ولذلك حثَّ رسول الله ﷺ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الإنفاق لجيش العُسرة، فتسابق الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى التَّنافس في الإنفاق كلٌّ حسب مقدرته، ثمَّ خرج الرَّسول ﷺ إلى تبوك فغزاها في حرَّةٍ شديدة، واستقبل سفرًا بعيدًا، وبرِّيَّة طويلة قليلة الماء، واستقبل عدوًّا كثيرًا.

وتخلَّف عن الغزوة مَن تخلَّف، واعتذرَ مَن اعتذر مِنَ المنافقين وغيرهم، وفَضَحَ الله تعالى فيها المنافقين، وكان نفرٌ مِنَ المسلمين أبطأت بهم النِّيَّة عن رسول الله ﷺ، حتى تخلَّفوا عنه عن غير شكٍّ ولا ارتيابٍ منهم، مثل: كعب بن

---

(١) سورة التوبة: ٢٩.

(٢) الفصول في السِّيرة ص٢١٠ – ٢١٢.

مالك، ومرارة بن الرَّبيع، وهلال بن أمية، وقد غَفَرَ الله تعالى لهم صنيعهم؛ لأنَّهم كانوا صادقين مع أنفسهم ومع النَّبيِّ ﷺ، لم يُخادعوه ولم يأتوا بأعذارٍ كاذبة، بل صدقوا واعترفوا بتخلُّفهم، ولجأوا إلى الله سبحانه تائبين فتاب عليهم.

حجَّةُ الوداع

وَحَجَّــةُ الــوَدَاعِ حَجَّهَــا النَّبِــيْ فِــي عَــامِ عَشْــرَةٍ بِــأُمِّي وَأَبِــيْ

(وَحَجَّةُ الوَدَاعِ): وسُمِّيت بهذا الاسم؛ لأنَّ رسول الله ﷺ وَدَّعَ النَّاس فيها، ولم يحُجَّ بعدها، كما في حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الجَمَرَاتِ فِي الحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَا، وَقَالَ: "هَذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ"، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ"، وَوَدَّعَ النَّاسَ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الوَدَاعِ[1]، وعن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: "لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ"[2].

(فِي عَامِ عَشْرَةٍ): وهنا يذكر النَّاظم خروج النَّبيُّ ﷺ مِنَ المدينة للحجِّ، وكان ذلك في خمسٍ وعشرين مِن ذي القعدة مِنَ السَّنة العاشرة للهجرة، ومعه أكثر مِن مائة ألفٍ مِن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأَحرمَ مِن ذي الحُليفة قارنًا.

---

(١) رواه البخاري ح١٧٤٢.

(٢) رواه مسلم ح١٢٩٧.

وَوَقَفَ النَّبيُّ ﷺ بعرفة يوم الجمعة، فخطبَ خُطبةً عظيمة جامعة، قرَّر فيها قواعد الإسلام، وهدم فيها قواعد الشِّرك والجاهليَّة.

وَنَزَلَ على النَّبيِّ ﷺ وهو واقفٌ بعرفة قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1]، وفي الحديث عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2]، قَالَ عُمَرُ: "قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ"[3].

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) رواه البخاري ح٤٥؛ ومسلم ح٣٠١٧.

مرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

وَمَـــرِضَ النَّبِـــيُّ بَعْـــدَ عَوْدَتِـــهْ ... وَقَـــرَّ عِنْـــدَ عَـــائِشٍ حَبِيْبَتِـــهْ

وَاشْـــتَدَّتِ الأَوْجَـــاعُ بِالْخَلِيـــلِ ... .

(وَمَرِضَ النَّبِيُّ بَعْدَ عَوْدَتِهْ): أي وَمَرِضَ ﷺ النَّبيُّ بعد عودتهِ مِنَ الحجِّ، وذلك في أواخر ليالي شهر صفر، وكانت مُدَّة مرضه ثلاثة عشر يومًا في قول الأكثر، وكان أوَّل مَا بُدِئ به مِن وجعه الصُّداع الشَّديد في رأسه الشَّريف.

(وَقَرَّ عِنْدَ عَائِشٍ حَبِيْبَتِهْ): وذلك لمَّا اشتدَّ به ﷺ المرض، استأذنَ أزواجه أن يُمرَّض في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأذِنَّ له رضي الله عنهن، فخرجَ بين عمِّه العباس وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ورجلاه تخطَّان في الأرض ﷺ، فعن عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ: "أَوَّلُ مَا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَاسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِهَا وَأَذِنَّ لَهُ قَالَتْ: فَخَرَجَ وَيَدٌ لَهُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ وَيَدٌ لَهُ عَلَى رَجُلٍ آخَرَ، وَهُوَ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ فِي الْأَرْضِ". فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: "أَتَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ هُوَ عَلِيٌّ"[1].

---

(١) رواه مسلم ح٤١٨.

(وَاشْتَدَّتِ الأَوْجَاعُ بِالْخَلِيلِ): أي واشتدَّت وطأةُ المرض على رسول الله ﷺ، وبدأت الحمى تشتدُّ عليه، وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ"، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَجَلْ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا"(١). وكان رسول الله ﷺ حريصًا على أن يصلِّي بالنَّاس مع مَا به مِن شدَّة الوجع حتى غَلَبَهُ المرض، وَأَعجزَهُ عن الخروج، فعندها أَمَرَ أبا بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يؤمَّ النَّاس في الصَّلاة.

(بِالْخَلِيلِ): الخليلُ هو الذي بَلَغَ غاية المحبَّة؛ لأنَّ الخُلَّة أعلى مرتبة مِنَ المحبَّة وأكمل؛ ولذلك جاء في الحديث عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ"(٢).

---

(١) رواه البخاري ح٥٦٦٠؛ ومسلم ح٢٥٧١.

(٢) رواه مسلم ح٢٣٨٣.

موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

..... وَسَكَرَاتُ المَوْتِ وَالرَّحِيلِ

وَأَسْلَمَ الرُّوحَ كَسَائِرِ البَشَرْ فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَفِي الثَّانِي عَشَرْ

رَبِيعَا الأَوَّلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ثُمَّ بِالْهُدَى جَازَاهُ

قَدْ بَلَغَ أَرْبَعِينَ عِنْدَ بِعْثَتِهْ وَجَاوَزَ الخَمْسِينَ عِنْدَ هِجْرَتِهْ

بَعْدَ ثَلَاثٍ مَعَ سِتِّينَ سَنَةْ مَاتَ فَمَا أَطْيَبَهُ وَأَحْسَنَهْ

وفي هذه الأبيات يذكرُ شيخنا – حفظه الله – ما يتعلَّق بموت رسول الله ﷺ ومَا عاينهُ مِنَ السَّكرات، حيث اشتدَّ الوجع على رسول الله ﷺ أشدَّ مَا يكون، وَجَعَلَ يتغشَّاهُ الكرب الشَّديد، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "وَا كَرْبَ أَبَاهُ"، فَقَالَ لَهَا: "لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ"[1]، وَظَهَرَ أثرُ السُّمِّ الذي أَكَلَهُ بخيبر حتَّى انقطع منه الأبهر[2] بسبب السُّمِّ الذي كان في الشَّاة المسمومة.

وبينما رسول الله ﷺ يعالج سكرات الموت، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، وَمَعَ

---

(١) رواه البخاري ح٤٤٦٢.

(٢) الأبهر: عرق في الظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه.

عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَأَبَدَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَصَرَهُ، فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ فَقَصَمْتُهُ، وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ"(١). وكان بين يديه رَكْوَةٌ فيها ماء، فجعل يُدخِلُ يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: "لا إله إلَّا الله، إنَّ للموت سكرات" ثمَّ نَصَبَ يَدَهُ فجعل يقول: "في الرَّفيق الأعلى" حتَّى قُبِضَ ومَالت يدُهُ(٢).

وفي البخاري عَنْ عَائِشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: "إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ"(٣).

وَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ فَاطِمَة: "يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ، مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ"(٤)، وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين الثَّاني عشر مِن شهر ربيعٍ الأوَّل مِنَ السَّنة الحادية عشرة للهجرة، وعمره بأبي هو وأُمِّي ثلاث وستُّون سنة.

---

(١) رواه البخاري ح٤٤٣٨.

(٢) رواه البخاري ح٦٥١٠.

(٣) رواه البخاري ح٤٤٤٩.

(٤) رواه البخاري ح٤٤٦٢.

وقد "كُفِّنَ فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَةٍ بِيضٍ، سَحُولِيَّةٍ[1] مِنْ كُرْسُفٍ[2] لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ"[3]، ودُفِنَ في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حجرتها كما قَالَتْ: "إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ: "أَيْنَ أَنَا اليَوْمَ، أَيْنَ أَنَا غَدًا" اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي، قَبَضَهُ اللهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدُفِنَ فِي بَيْتِي"[4].

وهكذا مَات رسول الله ﷺ كغيره مِنَ البشر، وأنَّه ليس بمخلَّد، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[5]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[6]. فجزى الله نبينا محمَّدٍ ﷺ عن أمَّته أفضل مَا جزى نبيًّا عن أمَّته، وله في قلوب أمَّتِهِ مِنَ المحبَّة والإجلال والتَّعظيم مَا ليس لأحدٍ غيره بعد الله تعالى.

---

(١) سحولية: نسبة إلىٰ قرية باليمن تنسب إليها الثياب، وهو جمع سحل، وهو الثوب الأبيض النقي.

(٢) الكرسف: القُطن.

(٣) رواه البخاري ح١٢٦٤.

(٤) رواه البخاري ح١٣٨٩.

(٥) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٦) سورة الزمر: ٣٠.

(فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَفِي الثَّانِي عَشَرْ ... رَبِيعَا الأَوَّلَ): وقد اختلف العلماء في تحديد اليوم الذي توفِّي فيه رسول الله ﷺ، وأمَّا مَا ذهب إليه شيخنا – حفظه الله – في تحديد يوم وفاته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يوم الاثنين في الثَّاني عشر من شهر ربيع الأوَّل هو مَا أشار إليه ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: "وكانت وفاته يوم الاثنين بلا خلاف مِن ربيع الأوَّل وكاد يكون إجماعًا"(١).

(قَدْ بَلَغَ ٱرْبَعِينَ عِنْدَ بِعْثَتِهْ): وبعد أن بَلَغ النَّبيُّ ﷺ أربعين سنةً بُعِثَ رحمةً للعالمين، وذلك يوم الاثنين، قَالَ ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ"(٢).

(وَجَاوَزَ الخَمْسِينَ عِنْدَ هِجْرَتِهْ): أي وكانت هجرة النَّبيُّ ﷺ بعد ثلاث عشرة سنة مِنَ البعثة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.

(مَاتَ فَمَا أَطْيَبَهُ وَأَحْسَنَهْ): فهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد طابت حياته وطاب مماته، وهذا مَا قاله أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما دَخَلَ على النَّبيِّ ﷺ فكشف عن وجهه فقبَّلهُ، ثمَّ قال: بأبي أنت وأُمِّي، طبت حيًّا وميِّتًا(٣).

---

(١) فتح الباري (٨/ ١٢٩).

(٢) رواه البخاري ح٣٩٠٢.

(٣) رواه البخاري ح٣٦٦٧.

أولاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

أَوْلَادُهُ القَاسِمُ، عَبْدُ اللهِ ... الطَّاهِرُ الطَّيِّبُ عِنْدَ اللهِ

فَاطِمَةٌ وَزَيْنَبٌ رُقَيَّةْ ... وَأُمُّ كُلْثُومٍ أَيَا أُخَيَّهْ

كَذَاكَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ مَارِيَّةْ ... وَوَلَدَتْ خَدِيجَةُ البَقِيَّةْ

وهنا شَرَع النَّاظم في ذِكْر أولاد النَّبيِّ ﷺ مِن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهم: القاسم وعبدُ الله وفاطمة وزينب ورقيَّة وأمُّ كلثوم، وأمَّا عن ترتيبهم: فقد قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "كان أوَّل مَن وُلِدَ لرسول الله ﷺ بمكَّة قبل النُّبوَّة القاسم، وبه كان يُكنَّى، ثمَّ وُلِدَ له زينب، ثمَّ رقيَّة، ثمَّ فاطمة، ثمَّ أمُّ كلثوم، ثمَّ وُلِدَ له في الإسلام عبدُ الله فسُمِّيَ الطَّيِّبُ والطَّاهر، وأمُّهم جميعًا خديجة بنت خويلد"(١)، واختلفوا في الصُّغرى مِن بنات الرَّسول ﷺ كما قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "والمتَّفق عليه مِن أولاده منها: القاسم، وبه كان يُكنَّى، مات صغيرًا قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب، ثمَّ رقيَّة، ثمَّ أمُّ كلثوم، ثمَّ فاطمة، وقيل: كانت أمُّ كلثوم أصغر مِن

(١) الطبقات الكبرى (١/ ١٠٦).

فاطمة"[1]. وأمَّا إبراهيم كان مِن ماريَّة القبطيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وسيتمُّ الحديث عنهم باختصار بحسب التَّرتيب الذي ذَكره النَّاظم:

(القَاسِمُ): وهو أكبرُ أولاده الذُّكور؛ ولهذا يُكنَّى به، عاش سبعة عشر شهرًا، ومَات بمكَّة، وهو أوَّل ميِّتٍ مِن وَلَدِ النَّبيِّ ﷺ، وقد مات قبل البعثة.

(عَبْدُ اللهِ، الطَّاهِرُ الطَّيِّبُ): ولد بعد النُّبوَّة، ومات صغيرًا، سمَّاه النَّبيُّ ﷺ باسم أبيه عبدِ الله، وأمَّا الطَّاهر والطَّيِّب فهما لقبان له، وليسا ابْنَيْنِ آخَرَيْنِ للنَّبيِّ ﷺ، ولُقِّب بذلك لأنَّه وُلِدَ بعد النُّبوَّة.

(فَاطِمَةُ): هي فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت رسول الله ﷺ سيِّدةُ نساء العالمين، وهي أصغر بنات رسول الله ﷺ، وُلِدَت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة إحدى وأربعين مِن مولد النَّبيِّ ﷺ، زوَّجها النَّبيُّ ﷺ بعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتوفيت بعد وفاة أبيها بستَّة أشهر، وكانت أوَّل أهله لحوقًا به، وصلَّى عليها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان عمرها لمَّا توفِّيت تسعًا وعشرين سنة، وقيل: ثلاثين سنة، وقيل: خمسًا وثلاثين سنة.

---

(١) فتح الباري (٧/ ١٣٧).

(زَيْنَبُ): هي زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت الرَّسول ﷺ، وهي أكبر بناته، وأوَّل مَن تزوَّج منهنَّ، تزوَّجها ابن خالتها أبو العاص بن الرَّبيع العبسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أُمُّه هالة بنت خويلد، أسلمت زينب، وهاجرت مع أبيها، وماتت في السَّنة الثَّامنة للهجرة.

(رُقَيَّةُ): هي رقيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت رسول الله ﷺ، وُلِدَت وكان عُمر رسول الله ﷺ ثلاث وثلاثون سنة، وتزوَّجها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكَّة، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، وَوَلَدَتْ له هناك ابنًا فسمَّاه: عبد الله، فكان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكنَّى به، وماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يوم وقعة بدر، ودُفِنَت يوم جاء زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشيرًا بما فَتَحَ الله عليهم يوم بدر.

(أُمُّ كُلْثُومٍ): هي أُم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت رسول الله ﷺ، وهي أكبرُ مِن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وتزوَّجها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد وفاة أختها رُقيَّة، وذلك في جمادى الآخرة مِنَ السَّنة الثَّالثة مِنَ الهجرة، ولم تَلِد مِن عثمان ولدًا، وَتُوفِّيَت في السَّنة التَّاسعة للهجرة، وصلَّى عليها رسول الله ﷺ.

(إِبْرَاهِيمُ): وأُمُّه مارية القبطيَّة، وُلِدَ في شهر ذي الحجَّة سنة ثمان، ومات وهو ابن ستَّة عشر شهرًا، في ربيع الأوَّل سنة عشر، فبكى النَّبيُّ ﷺ رأفةً منه، ورحمةً للولد، والقلب ممتلئٌ بالرِّضى عن الله تعالى وشكره، وفي الحديث عَنْ

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: "يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ"، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: "إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ"(١).

(مَارِيَّةْ): هي ماريَّة بنت شمعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أهداها المقوقس صاحب الإسكندريَّة إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع مِنَ الهجرة، وكان رسول الله ﷺ يطؤها بملك اليمين، وضرب عليها مع ذلك الحجاب، فحملت منه، ووضعت ابنه إبراهيم، وتُوفِّيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك في المحرم في السَّنة السَّادسة عشر مِنَ الهجرة.

(١) رواه البخاري ح١٣٠٣.

زوجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

زَوْجَاتُـــهُ خَدِيجَـــةٌ وَعَائِشَـــةْ وَسَـــوْدَةٌ وَحَفْصَـــةٌ جُوَيْرِيَـــةْ
وَهِنْـــدُ ثُـــمَّ رَمْلَـــةٌ وَزَيْنَـــبْ صَـــفِيَّةٌ مَيْمُونَـــةٌ وَزَيْنَـــبْ

(زَوْجَاتُهُ): زوجات النَّبيِّ ﷺ أُمَّهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين، أفضل النِّساء وأزكاهنَّ وأطهرهنَّ، اللَّواتي قال الله تعالى في بيان فضلهنَّ وعظيم قدرهنَّ وحقِّهنَّ: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾[1]، وأثنى الله تعالى عليهنَّ فقال: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[2]، وقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾[3]، وقد تزوَّج عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَدَخَلَ بإحدى عشر امرأة، ماتت اثنتان منهنَّ في حياته وهما: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتوفِّي عن تسع وهنَّ: سودة بنت زَمعة، وعائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق، وحفصة بنت عمر، وجويرية بنت الحارث، وأمُّ سلمة هند بنت أبي أُميَّة، وأمُّ حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وزينب

---

(١) سورة الأحزاب: ٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٢.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

بنت حجش، وصفيَّة بنت حيي بن أخطب، وميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وأرضاهنَّ.

(خَدِيجَةُ): وهي خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ قبل البعثة وعمره خمس وعشرون سنة، وعمرها أربعون سنة، ولم يتزوَّج عليها غيرها، وأولاده كلُّهم منها إلَّا إبراهيم فإنَّه مِن مارية، وهي أوَّل امرأةٍ آمنت برسول الله ﷺ، وتوفِّيت في حياته في السَّنة العاشرة للبعثة. وممَّا جاء في فضلها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ"(١).

(وَعَائِشَةْ): وهي عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَقَدَ عليها النَّبيُّ ﷺ في شوال سنة عشر مِنَ البعثة، وبنى بها في شوال مِنَ السَّنة الأولى للهجرة، ولم يتزوَّج بكرًا غيرها، وتُوفِّي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، وماتت بعده في رمضان سنة سبع وخمسين للهجرة، وكانت أحبَّ أزواج النَّبيِّ ﷺ إليه، وفي البخاري عَنْ عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ

(١) رواه البخاري ح ٣٨٢٠.

السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: "أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: "عَائِشَةُ"، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: "أَبُوهَا"، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ" فَعَدَّ رِجَالًا[1].

(وَسَوْدَةُ): وهي سودة بنت زَمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوَّجها النَّبيِّ ﷺ في شوال سنة عشر مِنَ البعثة، بعد وفاة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وتُوفِّيت سنة خمس وخمسين للهجرة. قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: "مِن خواصها أَنَّهَا آثرت بيومها حِبَّ رَسُول الله ﷺ (عائشة)، تقرُّبًا إِلَى رَسُول الله ﷺ وحُبًّا لَهُ وإيثارًا لمقامها مَعَه، فَكَانَ يقسم لنسائه وَلَا يقسم لَهَا وهي راضية بذلك مُؤثرَة لرضى رَسُول الله ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا"[2].

(وَحَفْصَةُ): وهي حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ في شعبان مِنَ السَّنة الثَّالثة للهجرة، وماتت سنة خمس وأربعين للهجرة. قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومِن خصائصها مَا ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي في مختصره في

---

(١) رواه البخاري ح٣٦٦٢.

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام، لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧، ص٢٣٧.

السِّيرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ طلَّقها فأتاه جبريل فقال: "إنَّ الله يأمرك أن تُراجِع حفصة، فإنَّها صوَّامة قوَّامة، وإنَّها زوجتُك في الجنَّة"(١).

وكان مِن فضلها على الإسلام والمسلمين أنَّها احتفظت بالقرآن الكريم في بيتها، قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإنَّما كان ذلك عند حفصة لأنَّها كانت وصية عمر، فاستمرَّ مَا كان عنده عندها"(٢).

(جُوَيْرِيَةْ): جويرية بنت الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ سنة خمس مِنَ الهجرة، وتُوفِّيت سنة خمسين مِنَ الهجرة. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكان سباها رسول الله ﷺ في غزوة المريسيع، وهي غزوة المصطلق، وكان أبوها مَلِكَهم فأسلمت فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوَّجها، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شمَّاس وكاتبها، فأتت رسول الله تستعينه في كتابتها فقال: "أَوَ خير مِن ذلك"؟ قالت: ومَا هو يا رسول الله؟ قال: "أشتريك وأعتقك وأتزوَّجك"، فأعتقها فقال النَّاس أصهار رسول الله ﷺ فأعتقوا مَا بأيديهم مِن

(١) جلاء الأفهام ص٢٤١.

(٢) فتح الباري (٩/ ١٦).

سبي بني المصطلق نحوًا مِن مائة أهل بيت، فقالت عائشة: "لا أعلمُ امرأةً أعظم بركة على أهلها منها"، وكان اسمها برَّة، فسمَّاها رسول الله ﷺ جويرية"[1].

(وَهِنْدُ): أم سلمة هند بنت أبي أُميَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ بعد وفاة زوجها أبي سلمة في شوَّال سنة أربعٍ مِنَ الهجرة، وهي أوَّل مَن هاجر الى الحبشة، وتُوفِّيت سنة اثنين وستين مِنَ الهجرة، وهي آخر أمهات المؤمنين موتًا.

(رَمْلَةُ): وهي أمُّ حبيبة رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ وهي بالحبشة سنة سبع، وتُوفِّيت سنة أربع وأربعين للهجرة.

(وَزَيْنَبْ): وهي زينب بنت خزيمة أم المساكين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ في رمضان في السَّنة الثَّالثة للهجرة، ومَاتت بعد زواجها بشهور، فصلَّى عليها ودفنها. قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وتزوَّج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلاليَّة وكانت تحت عبد الله بن جحش، تزوَّجها سنة ثلاث مِنَ الهجرة، وكانت تُسمَّى أمُّ المساكين؛ لكثرة إطعامها المساكين، ولم تلبث عند رسول الله ﷺ إلَّا يسيرًا شهرين أو ثلاثة وتوفِّيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا"[2].

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٥٤).

(٢) جلاء الأفهام ص٢٥٥.

(صَفِيَّةُ): وهي صفيَّة بنت حُيي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي مِن نَسْل نبيِّ الله هارون بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ سنة سبع، وتُوفِّيت سنة خمسين للهجرة على الرَّاجح.

(مَيْمُونَةُ): وهي ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان اسمها بَرَّة، فسمَّاها النَّبيُّ ﷺ ميمونة، تزوَّجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة سبع، وهي آخر امرأة تزوَّجها رسول الله ﷺ، وتُوفِّيت سنة إحدى، وخمسين للهجرة.

(وَزَيْنَبْ): وهي زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ في السَّنة الثَّالثة، وقيل: الرَّابعة، وقيل: الخامسة، وكانت قبل عند مولاه زيد بن حارثة، وطلَّقها فزوَّجها الله تعالى إيَّاه مِن فوق سبع سماوات، وفي البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "اتَّقِ اللهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ"، قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، وَعَنْ ثَابِتٍ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ

مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾[1]، "نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ"[2]، وقد ماتت سنة عشرين مِنَ الهجرة.

هؤلاء هنَّ أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ اللَّاتي يجب على كلِّ مسلم الإقرار والاعتراف بفضلهنَّ، وأنَّهنَّ أمَّهات المؤمنين كما أطلق الله تعالى ذلك عليهنَّ، ومَن طعنَ فيهنَّ أو واحدةٍ منهن، كان فاسقًا حائدًا عن الكتاب والسُّنَّة.

قال أبو بكر الباقلاني: "ويجب أن يُعلم أنَّ أخير الأمَّة أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الصَّحابة العشرة الخلفاء الرَّاشدون الأربعة رضي الله عن الجميع وأرضاهم، ونُقرُّ بفضل أهل بيت رسول الله ﷺ، وكذلك نعترف بفضل أزواجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وأنَّهنَّ أمَّهات المؤمنين، كما وصفهنَّ الله تعالى ورسوله، ونقول في الجميع خيرًا، ونُبدِّعُ ونُضلِّلُ ونُفسِّقُ مَن طَعَنَ فيهنَّ أو في واحدةٍ منهنَّ؛ لنصوص الكتاب والسُّنَّة في فضلهم ومدحهم والثَّناء عليهم، فمن ذَكَرَ خلاف ذلك كان فاسقًا مُخالفًا للكتاب والسُّنَّة، نعوذ بالله مِن ذلك"[3].

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٧.

(٢) رواه البخاري ح٧٤٢٠.

(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي الباقلاني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، ط٢، مؤسسة الخانجي، ١٣٨٢هـ، ص٦٨.

ذكر مَن أسلم مِن أعمامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

أَسْـــلَمَ مِـــنْ أَعْمَامِـــهِ اِثْنَـــانِ حَمْـــزَةُ وَالْعَبَّـــاسُ يَـــا إِخْـــوَانِي
وَأَسْـــلَمَتْ عَمَّتُـــهُ صَـــفِيَّةْ أُمُّ الزُّبَيْـــرِ اْمْـــرَأَةٌ قَوِيَّـــةْ

(أَسْلَمَ مِنْ أَعْمَامِهِ اِثْنَانِ): ذَكَرَ أهلُ السِّيَر أنَّ أعمام النَّبي ﷺ أَحَدَ عشر، ولم يُسلِم منهم إلَّا اثنان وهم: حمزة والعبَّاس، وأنَّ عمَّاته ستٌّ، أسلم منهنَّ صفيَّة.

(حَمْزَةُ): تقدَّمت ترجمة حمزة بن عبد المطَّلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمّ النَّبيِّ ﷺ عند الحديث عن قصَّة إسلامه.

(وَالْعَبَّاسُ): هو العبَّاس بن عبد المطَّلب، ويكنَّى بأبي الفضل، وكان طويلًا جميلًا أبيض، وكان أسنَّ مِن رسول ﷺ بسنتين أو ثلاث، وقيل: هو أصغر أعمام النَّبي ﷺ سنًّا، أسلم قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه، ثمَّ أظهره يوم فتح مكَّة، وقد تُوفِّي بالمدينة في رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين.

(وَأَسْلَمَتْ عَمَّتُهُ صَفِيَّةْ): صفيَّة بنت عبد المطَّلب، أمُّ الزُّبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، شقيقة أسدُ الله حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي مِنَ المهاجرات الأُوَل، وتوفِّيت

في خلافة عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة عشرين، ولها ثلاث وسبعون سنة، وَدُفِنت بالبقيع.

(أُمُّ الزُّبَيْرِ): هو الزُّبير بن العوَّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حواريُّ رسول الله ﷺ وابن عمَّته صفيَّة، وَأَحَدُ العشرة المشهود لهم بالجنَّة، وَأَحَدُ السِّتَّة أهل الشُّورى، وأوَّل مَن سَلَّ سيفه في سبيل الله، أسلم وهو حَدَث، له سِتٌّ عشرة سنة، وقُتِلَ في رجب سنة سِتّ وثلاثين عن أربع وستين أو بضع وخمسين سنة.

(اْمْرَأَةٌ قَوِيَّةْ): أي أنَّها ذاتُ شجاعةٍ وإقدام، وكانت أوَّل امرأةٍ قتلت مُشركًا في الإسلام، ولمَّا قُتِلَ أخوها حمزة وَجَدَت عليه وَجدًا شديدًا، وصبرت صبرًا عظيمًا.

الرَّسولُ القدوة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

خُلُقُهُ كَانَ هُوَ الْقُرآنُ ... أَدَّبَهُ خَالِقُهُ الرَّحْمَنُ
فَكَانَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ أَخْلَاقِهِ ... وَالرِّفْقُ وَالسَّخَاءُ فِي أَعْمَاقِهِ
يُعَامِلُ الْخَلْقَ بِلِينٍ سَائِغِ ... وَيَكْسَبُ الْأَعْدَا بِعَفْوٍ بَالِغِ
وَهْوَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ أُسْوَةْ ... فَلْنَتَّبِعْهُ فَهْوَ خَيرُ قُدْوَةْ

لقد كان النَّبيُّ ﷺ أَحسن النَّاس خُلُقًا، وأكرمهم وأتقاهم، حيث قال الله تعالى مادحًا وواصفًا خُلُقَ نبيَّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وفي هذه الأبيات أراد النَّاظم أن يوضِّح خُلُقَ النَّبيِّ ﷺ، إذ أنَّه أكملُ النَّاس خُلُقًا في جميع محاسن الأخلاق وجميل الخصال والأفعال، وذلك بعد أن ذَكَر لنا سيرته العطرة؛ لتحقيق محبَّة الله تعالى، والتي لا تتمُّ إلَّا باتِّباع رسوله ﷺ، فقال النَّاظم:

(خُلُقُهُ كَانَ هُوَ الْقُرآنُ): أي كان في جميع أحواله: حركةً وسلوكًا، قلبًا وقالبًا يُمثِّل القرآن الكريم، فكان خُلُقُه القرآن كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "فَإِنَّ خُلُقَ

(١) سورة القلم: ٤.

نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ"[1]، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعملُ به، ويقفُ عند حدوده، ويتأدَّب بآدابه، ويعتبرُ بأمثاله وقصصه وتدبُّره وحسن تلاوته.

(أَدَّبَهُ خَالِقُهُ الرَّحْمَنُ): وذلك بأنَّ أدبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِن عند الله تعالى، وقد قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "إنَّ الله تعالى حَفِظَهُ مِن صِغَره، وتولَّى تأديبه بنفسه، ولم يَكِله في شيءٍ مِن ذلك لغيره، ولم يزل الله يفعل ذلك به حتَّى كَرَّهَ له أحوال الجاهلية، وحمَاهُ عنها، حتَّى لم يجر عليه شيء منها، كلُّ ذلك لُطفٌ به، وعطفٌ عليه، وَجَمْعٌ للمحاسن لديه"[2]، وفي الحديث عنه ﷺ قَالَ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاق"[3]، فَأَدَبُ النَّبيُّ ﷺ مع النَّاس كثير، وَحُفِظَ في سُنَّته أدبَه مع الرِّجال والنِّساء والأطفال، وفي مجالاتٍ عدَّة ومناسبات كثيرة ليس هنا مجال ذِكرها.

(فَكَانَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ أَخْلَاقِهِ): حيث وهبَ الله تعالى نبيَّه ﷺ قلبًا رحيمًا،

---

(١) رواه مسلم ح٧٤٦.

(٢) المفهم لِمَا أُشكل مِن تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، (٦/ ١١٨).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد ح٢٧٣، وصححه الألباني.

يرقُّ للضَّعيف، ويَحنُّ على المسكين، ويعطفُ على الخَلْقِ أجمعين، حتَّى صارت الرَّحمة له سجيَّة، فشملت الصَّغير والكبير، والقريب والبعيد، والمؤمن والكافر، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، وقد كان النَّبيُّ ﷺ رحيمًا بالمؤمنين خاصَّة، رحيمًا بالنَّاس عامَّة، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ"[2]، وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لاَ يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ"[3].

(وَالرِّفْقُ): حيث كان النَّبيُّ ﷺ رفيقًا هيِّنًا سهلًا في تعامله، وفي أقواله وأفعاله، وكان يحبُّ الرِّفق، ويحثُّ عليه، ويُرغِّب فيه، وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: "يَا إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ"[4]، فكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعيشُ الرِّفقَ ويتمثَّلُ به في سائر أحواله وشؤون حياته كما قَالَت

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) رواه الحاكم ح١٠٠، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري ح٧٣٧٦.

(٤) رواه مسلم ح٢٥٩٣.

عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ"(١).

(وَالسَّخَاءُ): حيث كان النَّبيُّ ﷺ نموذجًا فريدًا في السَّخاء، فكان أكثرَ النَّاسِ بذلًا لِمَا يَقدِرُ عليه؛ ولذلك يقول ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ"(٢)، وكان أجود مَا يكون في رمضان، فكان أجود بالخير مِنَ الرِّيح المرسلة، إذ كان يُعطي عطاءَ مَن لا يخشى الفقر، ولا يردُّ سائلًا، والمواقف في سخائه وكرمه وجوده كثيرةٌ في السِّيرة النَّبويَّة، فلتُراجع.

(يُعَامِلُ الْخَلْقَ بِلِينٍ سَائِغِ): حيث كان النَّبيُّ ﷺ ألينُ النَّاس وأرفقُهم، في أقواله وأفعاله، بعيدًا عن الشِّدَّة والغلظة والفظاظة، وقد قال الله تعالى عن نبيِّه ﷺ مادحًا له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٣)، قال السَّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أي: برحمة الله لك ولأصحابك، مَنَّ الله عليك أن ألنتَ لهم جانبك، وخفضتَ لهم جناحك، وترقَّقتَ عليهم،

---

(١) رواه البخاري ح٣٥٦٠.

(٢) رواه البخاري ح٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

وحسَّنتَ لهم خُلقك، فاجتمعوا عليك وأحبُّوك، وامتثلوا أمرك"[1]. ورفقه ولينه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في معاملاته مبسوطٌ في كُتُب السِّيرة النَّبويَّة.

(وَيَكْسَبُ الْأَعْدَا بِعَفْوٍ بَالِغِ): حيثُ كان النَّبيُّ ﷺ أكثر النَّاسِ عفوًا، فلا ينتصرُ لنفسه قط، ولا يغضبُ إلَّا إذا انتُهكت محارم الله تعالى، فقد بُعِثَ رحمةً للعالمين، وقد كان لأسلوب العفو عنده مِنَ الآثار الإيجابيَّة على عدوِّه، فقد يأتي المُشركُ إليه وفي نيَّته قتل النَّبي ﷺ، وليس على وجه الأرض مَن هو أبغض إليه مِن رسول الله ﷺ، ثمَّ يعود ذلك المشرك وليس على وجه الأرض مَن هو أحب إليه منه ﷺ؛ بسبب عفوه عنه وإحسانه إليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقد وصف عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عفو النَّبيِّ ﷺ وإحسانه مع مَن آذاه فقال: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ"[2]، والسِّيرة النَّبويَّة زاخرةٌ بالمواقف الدَّالة على عفوه ﷺ عمَّن آذاه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ ص١٥٤.

(٢) رواه البخاري ح٣٤٧٧.

(وَهْوَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ أُسْوَةْ): وهذا مَا أشار إليه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذه الآية الكريمة أصلٌ كبيرٌ في التَّأسِّي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله"[2].

وقد خَتَمَ النَّاظم – حفظه الله – هذا النَّظم بهذا البيت؛ ليخبرنا أنَّ جميع وقائع حياة النَّبيِّ ﷺ، وسيرته، وتوجيهاته وتعاليمه، فيها المثل الأعلى والقدوة الحسنة، التي تضيء لنا الحياة، وتأخذنا إلى الطَّمأنينة والسَّعادة، ونستلهم منها الدُّروس والعِبَر.

ثمَّ بيَّن النَّاظم كيف نجعل النَّبيَّ ﷺ أُسوةً لنا فقال: (فَلْنَتَّبِعْهُ فَهْوَ خَيرُ قُدْوَةْ): وهذا هو الواجب على كلِّ مسلم بأن يجعله ﷺ قدوةً له في جميع جوانب الحياة؛ إذ أنَّ اتِّباع النَّبي ﷺ دليلٌ على محبَّة العبد لربِّه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، ومحبَّته وطاعته واتِّباعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أصلٌ عظيمٌ مِن

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) تفسير ابن كثير، (٦/ ٣٥٠).

(٣) سورة آل عمران: ٣١.

أصول الإيمان الذي لا يتمُّ إلَّا به، وهي سببُ السَّعادة، والفوز بالجنَّة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[1]، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى"[2].

(١) سورة الأحزاب: ٧١.

(٢) رواه البخاري ح٧٢٨٠.

الخاتمة

وَالْخَـــتْمُ صَـــلَّى رَبُّنَـــا وَسَـــلَّمَا ... عَلَـــى النَّبِـــيِّ الْمُصْـــطَفَى وَكَرَّمَـــا
وَآلِـــــهِ وَصَـــــحْبِهِ الْأَخْيَـــــارِ ... وَكُـــــلِّ تَـــــابِعٍ مِـــــنَ الْأَبْـــــرَارِ
نَظَمَهَـــا أَبُـــو مُجَاهِـــدٍ وَهُـــوْ ... مِـــنْ حَضْـــرَمَوْتَ أَصْـــلُهُ وَفَصْـــلُهُ
فَغَفَـــــرَ اللهُ لَـــــهُ وَلِأَبِـــــهْ ... وَأُمِّـــهِ وَكُـــلِّ مَـــنْ وُصِـــلَ بِـــهْ

(وَالْخَتْمُ صَلَّى رَبُّنَا وَسَلَّمَا): خَتَم شيخنا – حفظه الله – نظمه بالصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ ﷺ، وصلاة الله تعالى على نبيِّه ﷺ ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، وأمَّا سلامه عليه فهو الدُّعاء له بسلامة بدنه – في حال حياته –، وسلامة دينه، وسلامة بدنه في قبره، وسلامته يوم القيامة.

(وَكَرَّمَا) وذلك بأن اختصَّ الله تعالى نبيَّه ﷺ بخصائص لم يخص بها أحدًا قبله مِنَ الأنبياء؛ تكريمًا وتشريفًا لمقامه بين الأنبياء والمرسلين، والمقصود بتلك الخصائص التَّكريميَّة هي الفضائل والتَّشريفات التي أكرمه الله تعالى بها، وفضَّله بها على غيره، وهي كثيرة، ومنها: أنَّ الله تعالى أقسم بحياته ﷺ، ورفع له ذِكره، وغَفَر له مَا تقدَّم مِن ذنبه ومَا تأخَّر، وعموم رسالته، وغيرها.

(وَآلِهِ وَصَحْبِهِ): الآل، وهم المؤمنون مِن آل بيت رسول الله ﷺ.

والصَّحب: الصَّحابة، وهم كلُّ مَن اجتمع بالنَّبيِّ ﷺ مؤمنًا به ومَات على ذلك.

و(تَابِعٍ): التَّابعي، وهو مَن لَقِيَ صحابيًّا مسلمًا، ومَات على الإسلام.

(أَبُو مُجَاهِدٍ): كنية النَّاظم، فضيلة شيخنا صالح بن محمَّد باكرمان، ويُكنى بأبي مجاهد نسبة إلى أكبر أولاده.

(مِنْ حَضْرَمَوْتَ): أي أنَّ النَّاظم مِن حضرموت، وبالذَّات مِن خِرْبة باكرمان بوادي عمد، وحضرموت هي إحدى محافظات اليمن، تقع في الجزء الجنوبي مِن شبه جزيرة العرب المشرف على المحيط الهندي، وحضرموت في الأصل على مَا قيل: اسم ملك مِن ملوك حمير، وبه سُمِّيت النَّاحية، وَسَكَنَهَا بنوه.

(أَصْلُهُ وَفَصْلُهُ): الأصل: هو الحسَب والنَّسب العريق، والفصل: أي الفصاحة والبلاغة، والمقصود أنَّ شيخنا – حفظه الله – أراد أنَّه مِن عائلةٍ ذات تاريخٍ معروفٍ، وسمعة وسيرة مشهورة مِن بلاد حضرموت.

(فَغَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِأَبِهْ .. وَأُمِّهِ وَكُلِّ مَنْ وُصِلَ بِهْ): وهنا يختم النَّاظم بالدُّعاء لنفسه ولوالديه، وكلِّ مَن وُصِل به، بالمغفرة، ونسأل الله تعالى أن نكون منهم.

والله تعالى نسأل المغفرة لنا ولشيخنا ووالديه ووالدينا وكلِّ مَن له صِلةٌ بنا، وأن يتقبَّل مِنَ الجميع (آمين).

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس

تقديم الناظم ١

مقدمة ٢

فتح العلي في نظم سيرة النَّبيِّ ﷺ ٥

شرحُ المقدَّمة ١٠

اسمه ونسبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ١٦

مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ٢١

رضاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ٢٥

وفاة أُمّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ٢٧

كفالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ٢٨

رعايته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للأغنام ٣٠

رحلته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الشام ٣٢

حِلْفُ الفَضُول ومشاركته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيه ٣٥

خروجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الشام للتجارة بمال خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٣٧

زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٣٩

تحكيمهم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في وضع الحجر الأسْوَد ٤٠

بدء الوحي ونزول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ٤٢

الدَّعوة السِّريَّة ٤٦

الدَّعوة الجهريَّة ٥١
الأذى الذي لَحِقَ بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في مكة ٥٣
الهجرة إلى الحبشة ٥٧
إسلام حمزة وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٥٩
حصار قريش للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في شعب أبي طالب ٦٣
وفاة عمّه أبي طالب وزوجه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٦٥
حادثة الإسراء والمعراج ٦٧
رحلة الطائف ٧٠
بيعتا العقبة الأولى والثَّانية ٧٢
الهجرة إلى المدينة ٧٥
أعماله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أوَّل دخوله المدينة ٨٠
الإذن بالقتال ٨٦
غزوة بدر الكبرى وقينقاع ٩٠
غزوة أُحد وبني النَّضير ٩٣
غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك ٩٧
غزوتا الخندق وبني قريظة ١٠٠
صلح الحديبية وبيعة الرِّضوان ١٠٤
غزوة خيبر ١٠٩
سريَّة مؤته ١١١

فتح مكَّة وغزوة حُنين والطَّائف ١١٤
غزوة تبوك ١١٨
حجَّةُ الوداع ١٢١
مرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ١٢٣
موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ١٢٥
أولاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ١٢٩
زوجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ١٣٣
ذكر مَن أسلم مِن أعمامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ١٤٠
الرَّسولُ القدوة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ١٤٢
الخاتمة ١٤٩
فهرس ١٥١

الحمد لله رب العالمين

النَّفْحُ الشَّذِيُّ

الطبعة الأولى
١٤٤٧هـ-٢٠٢٥م